بعوث المعلمين فى العهد النبوي

« دراسة تاريخية تحليلية »

إعداد

دكتور/ عبد القوى عبد الغنى محمد

كلية التربية - جامعة الازهر

١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

١ - تمهيد لموضوع البحث :

لايزال العصر النبوى - وسيظل - العصر الذى يستقطب اهتمام الدارسين والباحثين فى مختلف مجالات الحياة الإسلامية ، ولاسيما فى مجال التربية والتعليم ، حيث إن هذا العصر يمثل التطبيق الأمثل والأمين لأصول التربية والتعليم الواردة فى كتاب الله الكريم .

ولعل الميزة الهامة التى توفرت للعصر النبوى ، ولم ولن تتوفر لغيره من عصور التاريخ الإسلامي إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها هي وجود شخص رسول الله ﴿ﷺ﴾ مُطَبِّقاً بنفسه تعاليم القرآن وضاربا بسلوكه المثل الأعلى فى التقوى والإيمان ، وصدقت السيدة عائشة رضى الله عنها حين سئلت عن خُلقه صلوات الله وسلامة عليه فقالت : كان خُلقه القرآن .

ومع أنه صلوات الله وسلامه عليه كان صاحب الرسالة ومؤسس المجتمع الإسلامى الأول والدولة الإسلامية الفَتِيَّة ، إلا أنه كان فى نفس الوقت المربى والمعلم الأول لأصحابه رضوان الله عليهم ، مما يدل على أن الاهتمام بالعلم والتعليم فى الإسلام إنما جاء مواكبا لبزوغ فجر الدعوة الإسلامية ونزول الآيات الأولى من القرآن الكريم على رسول الله آمِرَةً إياه بالعلم والتعليم ، حيث إن العلم والتعليم هو الوسيلة الأساسية لنشر الدعوة وتبليغ الرسالة ، فلم يكن بِوِسْعِهِ صلوات الله وسلامه عليه أن ينقل الناس عما أَلِفُوهُ من عقائد وعبادات وعادات وتقاليد وأن يُعدل فى سلوكياتهم ويربيهم تربية جديدة قوامها آيات القرآن الكريم ومبادئ الدين الجديد بدون علم وتعليم .

ومن ثم كان العلم والتعليم فى الإسلام الترجمة العملية والواقع الحى لنشر الدعوة وتبليغ الرسالة ، ظهر هذا واضحا جليا فى نهجه صلوات الله وسلامه عليه ، حيث كان اهتمامه بتعليم أصحابه آيات القرآن الكريم ومبادئ الدين الجديد منذ اللحظات الأولى للبعثة النبوية ، وفى الوقت الذى كانت فيه الدعوة الإسلامية تتحسس خطواتها الأولى فى مكة كان صلوات الله وسلامة عليه يجتمع بأصحابه سرا فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ليقرئهم آيات القرآن ويعلمهم مبادئ الإسلام ، الأمر الذى جعل من دار الأرقم فى مكة

أُولَى مؤسسات التعليم فى الإسلام .

واستمر نهجه الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى الاهتمام بالعلم والتعليم بعد هجرته من مكة إلى المدينة ، رغم أن المرحلة المدنية من تاريخ الدعوة الإسلامية شهدت التأسيس الحقيقى للدولة الإسلامية ، وتوجيه السرايا والغزوات لنشر الإسلام خارج المدينة.. وغيرها من الأحداث التى كانت كفيلة بإبعاد العلم والتعليم عن دائرة اهتمام الرسول﴿ﷺ﴾ وأصحابه مهاجرين وأنصار ، ولكن الرسول﴿ﷺ﴾ يجعل العلم والتعليم الأساس الأول للمجتمع الجديد واللبنة الأولى فى صرح الدولة الإسلامية الناشئة ، حين يُؤَسس صلوات الله وسلامه عليه مسجده الشريف منذ الأيام الأولى التى وطأت فيها أقدامه أرض المدينة المنورة ، ويصبح المسجد النبوى الجسد الحى الذى يمد المسلمين بالقوة والحيوية فى كل مجال من مجالات الحياه الإسلامية وفى مقدمتها مجال العلم والتعليم .

ويجلس الرسول صلوات الله وسلامه عليه بنفسه فى مسجده الشريف ليعلم أصحابه فقه الإسلام ، ويُملِى على كُتَّاب الوحى مايتنزل عليه من آيات القرآن ، ويُبَصِّر المسلمين بما تحتاجه دولتهم الناشئة من قوة وبنيان .

ومع أن الرسول ﴿ﷺ﴾ كان مصدر العلم والتعليم سواء بما يتنزل عليه من آيات القرآن أو بما يسنه من مبادئ وأحكام ، إلا أنه لم يكن المعلم الوحيد فى كل الأحيان ، حيث إنه كان يدرك أنه بشر يتحرك فى واقع محدد من حيث الزمان والمكان ، فلم يكن بوسعه صلوات الله وسلامه عليه أن يُعَلِّم كل من تُشرق فى قلبه شمس الإسلام مع بعد المسافة وضيق الزمان ، ومن ثم عمد صلوات الله وسلامه عليه إلى إعداد جمع من أصحابه ممن توسم فيهم سرعة الحفظ للقرآن ودقة الفهم والبيان ، وأفسح لهم المجال فى تعليم إخوانهم من حديثى العهد بالإسلام .

وتروى كتب السير والتاريخ الإسلامى مايؤيد قيام الصحابة رضوان الله عليهم بالدعوة والتعليم ، سواء فى المرحلة المكية أو المدنية ، وليس أدل على ذلك مما قام به السابقون الأولون إلى الإسلام من دعوة إلى الدين الجديد وإقناع لغيرهم بالدخول فى

الإسلام ، مع مايبدو فى هذه المهمة من صعوبة تحتاج إلى فترة من الإعداد ووقت من الخبرة والممارسة لشئون الدعوة والتعليم ، ويأتى الصديق أبو بكر رضى الله عنه كدليل حى ونموذج بارز لهؤلاء ، فقد استطاع مع حداثة إسلامه أن يدعو إلى الإسلام فى مكة رجالا كان لهم فيما بعد دور بارز فى مجال الدعوة والتعليم والجهاد فى سبيل الله كعثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ، فأسلموا بفضل دعوته وأصبحوا من السابقين الأولين إلى الإسلام(١) ، وكما فعل أبو بكر رضى الله عنه من الدعوة والتعليم فعل بقية السابقين الأولين حتى كثر عدد المسلمين ، وضاق المشركون بهم ذرعا ، وأخذوا فى التنكيل بهم حتى اضطروهم إلى الهجرة من مكة .

وفى المدينة المنورة تضاعفت جهود الصحابة فى مجال التعليم والفتيا وإقراء القرآن، خاصه بعد بناء المسجد النبوى الشريف ، حيث روى المؤرخون أخبار حلقات علمية كانت تقام فى المسجد النبوى ، وكان الرسول﴿ﷺ﴾ يستحسنها ويفضلها على صلاة النافلة(٢)، ولاشك أن الصحابة كانوا عماد هذه الحلقات معلمين ومتعلمين .

ويبدو بوضوح دور الصحابة كمعلمين منذ نهاية العام الثامن للهجرة ، عندما أقبلت وفود العرب على رسول الله﴿ﷺ﴾معلنة إسلامها خاصة بعد فتح مكة ، حيث كان المعلمون من الصحابة يستقبلون هؤلاء الوافدين فيعلمونهم فى البداية كيف يخاطبون الرسول﴿ﷺ﴾ بالأدب الواجب لمقام النبوة ، فقد روت كتب السيرة (على سبيل المثال) أن وفد ثقيف لما قدم على رسول الله﴿ﷺ﴾ المدينة واستقبلهم المغيرة بن شعبة جلس معهم « يعلمهم كيف يحيون رسول الله﴿ﷺ﴾ »(٣) .

---

(١) انظر الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت ، دار التراث ، (د.ت) ، ص٣١٧ .

(٢) عبد البديع عبد العزيز الخولى :« الدولة الإسلامية والتعليم فى القرن الأول الهجري » ، مجلة التربية، العدد الثالث ، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٤ ، ص ٨٠ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، بيروت ، دار القلم ، (د.ت) ، ص ١٨٤ .

وكان صلوات الله وسلامه عليه بعد أن يجتمع بالوفود يعهد بهم إلى أحد الصحابة لكى يعلمهم مبادئ الإسلام ويقرئهم القرآن طوال مدة إقامة الوفد بالمدينة المنورة ، خاصة من اشتهروا من أصحابه فى إقراء القرآن ، كالصحابى الجليل أبى بن كعب رضى الله عنه، فقد روت الكتب التى أرخت لوفود العرب والإسلام (على سبيل المثال) أنه لما قدم وفد غامد ، وهم بطن من الأزد باليمن ، وأقروا بالإسلام أمر النبى﴿ﷺ﴾ أبى بن كعب أن يعلمهم القرآن (١).

كما كان بعض أعضاء الوفود من فرط حرصهم على تعلم القرآن ومبادئ الإسلام يلجأون إلى بعض الصحابة لكى يتعلموا منهم ويقرأوا عليهم ، وخاصة فى الأوقات التى لايجتمعون فيها برسول الله﴿ﷺ﴾، فقد روى ابن سعد فى كتاب الطبقات أنه لما قدم وفد ثقيف على رسول الله كان أحدهم وهو عثمان بن أبى العاص « إذا وجد الرسول نائما عمد إلى أبى بكر فسأله واستقرأه ، وإلى أبى بن كعب يسأله ويستقرؤه »(٢) .

ولم يقتصر دور الصحابة كمعلمين فى العهد النبوى على القيام بالتعليم بمكة والمدينة فى المرحلتين المكية والمدنية ، وإنما كان الرسول﴿ﷺ﴾ يختار من بينهم من لهم شهرة خاصه فى مجال العلم والفقه وإقراء القرآن لكى يبعث بهم إما دعاة لبعض القبائل والبلدان للدخول فى الإسلام ، وإما معلمين وفقهاء لبعض القبائل والبلدان الأخرى التى هداها الله للإيمان وانضوت تحت راية الإسلام .

وقد بدأ دور هؤلاء المبعوثين منذ المرحلة المكية للدعوة حينما بعث رسول الله﴿ﷺ﴾ الصحابيين الجليلين مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رضى الله عنهما بعد بيعة العقبة الأولى للدعوة والتعليم فى يثرب، واستمر دور هؤلاء المبعوثين طوال العهد النبوى وبعده ، حيث انتقل رسول الله﴿ﷺ﴾ إلى الرفيق الأعلى وأصحابه من المعلمين والفقهاء منتشرين

---

(١) أبو تراب الظاهرى : وفود الإسلام ، الرياض ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٩٨٤ ، ص١٩٦ ، ص٢٠٣

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٥ ، القاهرة ، دار التحرير ، ١٩٦٨ ، ص٣٧٢ .

فى أنحاء الجزيرة العربية يعلمون الناس ويفقهونهم فى دين الله .

وقد قام هؤلاء المبعوثون بدور بالغ فى العهد النبوى ، سواء فى مجال الدعوة حيث هدى الله بدعوتهم إلى الإسلام قبائل وبلدان عربية بكاملها ، أو فى مجال التعليم بإقراء إخوانهم من حديثى العهد بالإسلام القرآن الكريم وتعليمهم مبادئ الإسلام وسنة خير الأنام عليه الصلاة والسلام وتفقيههم فى دين الله والقضاء بينهم بشريعة الله .

ولعل مما يضفى على هؤلاء المبعوثين مكانة جليلة كنماذج ومثل عليا للدعاة والمعلمين المسلمين فى كل زمان ومكان أنهم فوق مكانتهم فى الإسلام وصحبتهم لرسول الله ﴿ﷺ﴾ يعدون أوائل الدعاة والمعلمين الذين قاموا بالدعوة والتعليم فى حياة رسول الله ﴿ﷺ﴾ بعيدا عن إشرافه المباشر ، وإذا كان بعض الصحابة قد اجتهد فى القيام بمهمة الدعوة والتعليم والفتيا والقضاء فى وجوده صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان ذلك تحت إشرافه المباشر داخل مكة أو المدينة ، مما يعني أنهم كانوا إذا صادفهم أمر رجعوا إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، أما هؤلاء المبعوثون فقد كان لدورهم واجتهاداتهم فضل الأولية والسبق بحكم اختلاف البيئة والأشخاص والحوادث فى البلدان التى بعثوا للدعوة والتعليم بها .

ومن ثم كان رسول الله حريصا على أن يزود هؤلاء المبعوثين بكتب تحمل منهجا تربويا ونبراسا يهتدون به فى مجال عملهم كدعاة ومعلمين ، كما كان يزودهم عند بعثهم بالعديد من الوصايا والنصائح التى تكفل لهم النجاح فى مهمتهم وتحقيق الأهداف التى بعثوا من أجلها ، ولاشك أن تحليل هذه الكتب والوصايا يكشف عن الكثير من المضامين فى مجال التربية والتعليم .

ولعل مما يلفت النظر فى شأن هؤلاء المبعوثين أنه كان من بينهم من استشهد وهو مبعوث من رسول الله ﴿ﷺ﴾، شأنه فى ذلك شأن المجاهدين الذين سقطوا فى ميدان القتال ، وليس أدل على ذلك مما حدث يوم الرجيع فى السنه الثالثة من الهجرة ، حيث يروى ابن هشام أنه فى هذه السنة قدم على رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالمدينة وفد من عَضَل والقَارَة ، وهما قبيلتان من خزيمة ، فقالوا يارسول الله إن فينا إسلاما ، فابعث معنا نفرا من أصحابك

يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث رسول الله معهم ملحقا تعليميا يتكون من سته من أصحابه ، وبينما هم في طريقهم إذ غدر بهم الوفد في مكان يقال له الرجيع (وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز) وكشفوا لهم عن نواياهم الحقيقية ، وهى أنهم لم يأخذوهم معلمين كما ادعوا ، وإنما ليبيعوهم إلى أهل مكة حتى يشفوا بهم غليلهم بعدما حدث لهم من قتل فى غزوة أحد ، وكانت النتيجة أن قتل بعض هؤلاء المبعوثين وهم فى الطريق ، والبعض الآخر تم بيعه لأهل مكة فمنهم من أماتوه قتلا ومنهم من أماتوه صلبا [١].

ويروى الإمام مسلم فى صحيحه رواية أخرى عن المبعوثين الذين قتلوا فى سبيل نشر العلم من الصحابة ، وكانوا سبعين رجلا من الأنصار يعرفون بالقراء ، فعن أنس رضى الله عنه قال « جاء ناس إلى النبى ﴿ﷺ﴾ : أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار ، يقال لهم القراء ... فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان ، فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا... »[٢]

ويعزز رواية الإمام مسلم رواية للإمام البخارى فى صحيحه عن أنس أن النبى ﴿ﷺ﴾ :« بعث أربعين أو سبعين (يشك فيه) من القراء إلى أناس من المشركين ، فعرض لهم هؤلاء فقتلوهم ، وكان بينهم وبين النبى ﴿ﷺ﴾ عهد فما رأيته وجد على أحد ماوجد عليهم »[٣] .

مماسبق يبدو عظم الدور الذى قامت به بعوث المعلمين فى العصر النبوى فى مجال الدعوة إلى الله ونشر الإسلام وتعليم المسلمين فى فترة كانت الدعوة الإسلامية فيه فى

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مرجع سابق ، جـ٣ ، ص ص١٧٨-١٨٣ .

(٢) الإمام مسلم : الجامع الصحيح ، جـ٦ ، كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، (د.ت) ، ص٤٥ .

(٣) الإمام البخارى : صحيح البخارى ، جـ٤ ، كتاب فرض الخمس ، باب دعاء الإمام على من نكث عهدا ، الرياض ، دار أشبيليا ، (د.ت) ، ص ص٧٦-٧٧ .

حاجة إلى جهود هؤلاء المعلمين والدعاة ، وأن هذا الدور الذى قاموا به لايقل بأى حال من الأحوال عن دور المجاهدين فى ميدان القتال ، الأمر الذى دفع الباحث إلى اختيار هذه البعوث لتكون موضوعا لهذا البحث .

٢- موضوع البحث :

إذا كان العصر النبوى يمثل العصر النموذج أو القدوة لنشر الإسلام وتعليم المسلمين، وإذا كان الصحابة رضوان الله عليهم قد قاموا تحت إشراف وتوجيه المعلم الأول صلوات الله وسلامه عليه بدور بارز فى هذا المجال وخاصة الذين بعثوا للتعليم والدعوة فى أنحاء الجزيرة العربية ، فلاشك أن دراسة هذه البعوث تعد ضرورة تحتمها حركة التأريخ والتأصيل لنظام التربية والتعليم فى الإسلام ، على إعتبار أن هذه البعوث كانت أحد المنافذ الأساسية لنشر الدعوة وتعليم المسلمين فى عهده صلوات الله وسلامه عليه .

ومن ثم فالموضوع له أهميته من الناحية التاريخية في التأصيل لجانب من الجوانب التى تمس الدعوة ونشر الإسلام وتعليم المسلمين فى العهد النبوى ، إلى جانب أهميته العصرية فى إثراء الواقع الحالى لنظم التربية والتعليم فى العالم الإسلامى بالخبرات الإسلامية الأولى فى مجال نشر الإسلام وتعليم المسلمين .

وتأسيسا عليه يمكن تحديد موضوع البحث فى « محاولة التأريخ لبعوث المعلمين فى العصر النبوى ، ودراسة الدور الذى قام به هؤلاء المبعوثون فى مجال الدعوة والتعليم ، والتعرف على المواصفات التى توفرت فى هؤلاء المبعوثين كدعاة ومعلمين والتى رشحتهم عند رسول الله ﴿ﷺ﴾ لهذه المهام من بين الصحابة ، وتحليل كتب ووصايا رسول الله لهؤلاء المبعوثين ، والكشف عما تحويه هذه الكتب والوصايا من مضامين تربوية وتعليمية » .

٣- أهداف البحث :

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية :

أ - محاولة التأريخ لبعوث المعلمين من الصحابة فى العهد النبوى ، من حيث بداية هذه

البعوث ونهايتها ، وفترات امتدادها ، والجهات التى أرسل إليها هؤلاء المبعوثون .

ب - دراسة الأدوار والمهام التى قام بها المبعوثون من الصحابة فى العهد النبوى فى مجال الدعوة والتعليم .

جـ - إبراز المقومات أو المواصفات التى تميزت بها شخصيات هؤلاء المبعوثين كمعلمين وفقهاء ودعاة والتى جعلت الرسول ﴿ﷺ﴾ يقدمهم على غيرهم من الصحابة فى القيام بمهام تتصل بالدعوة ونشر الإسلام وتعليم المسلمين .

د - التعرف على منهجية هؤلاء المبعوثين وأساليبهم فى مجال الدعوة ونشر الإسلام وتعليم المسلمين .

هـ - تحليل الكتب والوصايا التى كان يزود بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ المبعوثين ، والكشف عما تحويه من مضامين تربوية وتعليمية .

و - بيان أن صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ لم يكونوا فقط عباقرة للفتوح الإسلامية وقيادة الجيوش المجاهدة فى سبيل الله - كما يردد ذلك بعض المستشرقين وأذنابهم من الباحثين الشرقيين - وإنما كانوا أئمة فى مجال الدعوة ، وأعلام فى مجال العلم والتعليم ، ولَبِنَات هامة فى بناء صرح الحضارة الإنسانية على القيم والمثل العليا ، حتى هؤلاء الذين كانت لهم شهرة خاصة فى مجال قيادة الجيش الإسلامى فى الحروب كخالد بن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين.

ز - بيان أن الدين الإسلامى لم ينتشر بحد السيف - كما يزعم بعض المستشرقين - وإنما بالجهود الصادقة للصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وخاصة هؤلاء المعلمين من الصحابة الذين أرسلهم المعلم الأول صلوات الله وسلامه عليه للتعليم والدعوة بين القبائل العربية ، والذين كانوا نماذج عملية حية لما يعلمونه ويدعون إليه .

٤- منهج البحث :

يعد المنهج التاريخى أنسب المناهج لدراسة الموضوعات ذات الصبغة التاريخية ، حتى ولو كانت هذه الموضوعات مشتملة على جوانب من التحليل للروايات والنصوص ، لأن المنهج التاريخى لايقف عند مجرد الوصف والتسجيل لما مضى من الوقائع والأحداث، وإنما « يدرس هذه الوقائع والأحداث ويحللها ويفسرها على أسس منهجية علمية دقيقة بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات لاتساعدنا على فهم الماضى فحسب ، وإنما تساعدنا أيضا فى فهم الحاضر ، بل والتنبؤ بالمستقبل »[١] .

ومن ثم سوف يستخدم الباحث فى هذه الدراسة المنهج التاريخى التحليلى فى محاولة التأريخ لبعوث المعلمين فى العهد النبوى من خلال الروايات التى أوردتها كتب السنة والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامى ، وتحليل هذه الروايات واستخلاص ماتدل عليه بشأن هذه البعوث ، ولاسيما مايتعلق منها بشخصيات هؤلاء المبعوثين كمعلمين ودعاة وأسلوبهم فى الدعوة والتعليم ، إضافة إلى تحليل كتب ووصايا رسول الله ﴿ﷺ﴾ لهؤلاء المبعوثين وماتدل عليه من مضمون تربوى وتعليمى .

٥- حدود البحث :

يمكن تقسيم حدود هذا البحث إلى حدود زمانية وحدود مكانية ، الحدود الزمانية للبحث تمتد من بعثه صلوات الله وسلامه عليه إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ويمكن تدقيقا تقسيم هذه الفترة إلى مرحلتين ، المرحلة الأولى وهى المرحلة المكية ويمثلها بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رضى الله عنهما للدعوة والتعليم فى يثرب بعد بيعة العقبة الأولى ، والمرحلة الثانية هى المرحلة المدنية ويمثلها بعوثه صلوات الله وسلامه عليه إلى اليمن ونجران منذ السنة التاسعة للهجرة وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

---

(١) جابر عبد الحميد جابر وأحمد خيرى كاظم : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٦ ، ص١٠٢ .

أما الحدود المكانية للبحث فسوف تقتصر على بعوثه صلوات الله وسلامه عليه إلى يثرب واليمن ونجران كجهات تركزت عليها بعوث المعلمين فى عهده صلوات الله وسلامه عليه .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه فى حدود البحث أن الباحث حاول أن يقتصر على المبعوثين من الصحابة فى العهد النبوى الذين كان بعثهم للدعوة والتعليم ، وليس للإمارة أو الولاية ، اللهم إلا فى بعض المبعوثين الذين أضيفت إليهم مهام يدخلها البعض فى شئون الولاية مع أنها كانت من أخص شئون الدعوة والتعليم بمعناهما الواسع والشامل كمهمة القضاء ، أو إمامة الناس فى الصلاة ، أو صرف الزكاة والصدقات فى مصارفها الشرعية .. كما سيرد فيما بعد .

٦- مصادر البحث :

يعتمد الباحث على المصادر الأساسية - ما أمكن - ككتب السنة الصحيحة وخاصة البخارى ومسلم ، وكتب السيرة النبوية ولاسيما سيرة ابن هشام التى تضم أيضا سيرة ابن اسحاق ، وكذلك كتب التراجم والطبقات والتاريخ الإسلامى ، إضافة إلى الكتب الحديثة التى تناولت شخصيات بعض الصحابة ممن شملهم البحث .

٧- محاور البحث :

يشتمل البحث - بعد الإطار المنهجى - على ثلاثة مباحث ، المبحث الأول خصصه الباحث لدراسة بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى يثرب بعد بيعة العقبة الأولى ، وقد بدأه الباحث بدراسة بعث مصعب بن عمير ، ثم بعث ابن أم مكتوم .

ويتناول المبحث الثانى بعوث المعلمين إلى اليمن ، والتى تم عرضها فى ثلاثة بعوث حسب الحدود المكانية والزمانية لهذه البعوث ، مبتدئا ببعث معاذ بن جبل ، وأبى موسى الأشعرى ، ثم بعث خالد بن الوليد ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين .

أما المبحث الثالث فقد خصصه الباحث لدراسة بعوث المعلمين إلى نجران والتى تمثلت فى ثلاثة بعوث حسب تسلسلها التاريخى ، الأول بعث أبى عبيدة بن الجراح ،

والثانى بعث خالد بن الوليد ، والثالث بعث عمرو بن حزم الأنصارى رضى الله عنهم أجمعين .

المبحث الأول

بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى يثرب

كان اسم (يثرب) هو الإسم الذى يطلق على المدينة المنورة قبل الإسلام ، حيث كانت تسمي بيثرب نسبة إلي (يثرب بن قانية) الذي ينتهي نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام، لأنه أول من سكنها ، ولما كانت كلمة (يثرب) مشتقة إما من التثريب بمعنى العيب والتعيير بما يُصنع ، وإما من التثريب بمعنى الإفساد ، فقد كره النبى ﴿ﷺ﴾ تسميتها بيثرب ، وسماها طيبة وطابة ، وسميت مدينة الرسول ﴿ﷺ﴾ لنزوله بها وهجرته إليها [١].

وكان سكان يثرب قبل الإسلام يتمثلون فى قبائل الأوس والخزرج واليهود ، وكانت الديانات الشائعة بينهم هى الوثنية واليهودية ، لأن الأوس والخزرج كانوا أهل شرك وأصحاب أوثان ، واليهود كانوا أهل علم وكتاب[٢] .

أما علاقة يثرب بالإسلام فلاترجع إلى بيعة العقبة الأولى التى تبدو تاريخيا كمعلم بارز فى علاقة يثرب بالدعوة الإسلامية ، وإنما علم يثرب بنبوة الرسول ﴿ﷺ﴾ يرجع إلى ماقبل البعثة النبوية ، لأن يثرب كان بها أحبار اليهود الذين كانوا على علم من التوراة بأن نبيا سوف يبعث فى بلاد العرب ، وكانوا كثيرا مايتهددون الأوس والخزرج باتباع هذا النبى والاستعانة به على قتلهم قتل عَادٍ وإِرَم [٣]، يقول ابن اسحاق «لم يكن حى من العرب أعلم برسول الله ﴿ﷺ﴾ حين ذُكِرَ وقبل أن يُذْكَرَ من هذا الحى من الأوس والخزرج لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود»[٤] .

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٥ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧ ، ص٤٣٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٢ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥ ، ص٩٥.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٧٠ .

(٤) المرجع السابق ، جـ١ ، ص ص٣٠١- ٣٠٢ .

ولعل علم أهل يثرب من الأوس والخزرج بأمر النبى الذى سوف يُبعث مما كانوا يسمعون من أحبار اليهود كان - والله أعلم - السبب الرئيسى فى استجابتهم للإسلام ، حينما لقى وفد من الخزرجيين رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى موسم الحج قبل البيعة الأولى بعام ، فعرض رسول الله ﴿ﷺ﴾عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فاستجابوا آملين أن يجدوا فى دعوته حسما للعداوة والشر الذى كان كثيرا مايقع بين الأوس والخزرج ، وسبقا لليهود الذين غزوا بلادهم وطالما هددوهم باتباع هذا النبى والاستعانة به على قتالهم(١) .

فلما كان العام الذى شهد بيعة العقبة الأولى وهو العام الثانى عشر من البعثة النبوية لقى رسول الله﴿ﷺ﴾ فى موسم الحج اثنا عشر رجلا من الأوس والخزرج عند العقبة فبايعوه البيعة التى تعد مرحلة حاسمة فى تاريخ الإسلام والدعوة ، والتى كان يعتبرها بعض الصحابة من الأنصار موطن فخره واعتزازه ، يقول الصحابى كعب بن مالك « لقد شهدت مع النبى﴿ﷺ﴾ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أُذكَرَ فى الناس منها »(٢) .

وتعد هذه البيعة التى عرفت تاريخيا ببيعة العقبة الأولى البداية التاريخية لبعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رضى الله عنهما للدعوة والتعليم فى يثرب ، ولما كان بعث مصعب بن عمير - كما سيرد فيما بعد- أسبق من بعث ابن أم مكتوم ، وأشد أثرا فى دعوة وتعليم أهل يثرب ، فسوف يبدأ به الباحث ، ثم يتناول بعث ابن أم مكتوم .

اولا - بعث مصعب بن عمير :

على الرغم من أن الروايات التاريخية تتفق على أن بعث مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى يثرب كان بعد البيعة الأولى وقد امتد لفترة عام من بيعة العقبة الأولى وحتى بيعة العقبة الثانية ، إلا أن هذه الروايات تتفاوت حول ما إذا كان قد تم إرسال مصعب مع

---

(١) المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ص٧٠-٧٣

(٢) صحيح البخارى ، جـ٤ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب وفود الأنصار إلى النبي﴿ﷺ﴾ بمكة وبيعة العقبة ، ص ٢٥٠ .

الوفد الذى بايع البيعة الأولى أم بعده بناءا على طلب من أهل يثرب ، حيث يروى ابن هشام عن ابن اسحاق أن بعث مصعب كان مع الوفد المبايع فيقول « فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ معهم مصعب بن عمير »[١] .

ويروى أبو نعيم فى الحلية عن عروة بن الزبير أن وفد بيعة العقبة الأولى لما رجعوا إلى قومهم فى يثرب « بعثوا إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن ابعث الينا رجلا من قِبَلكَ فيدعو الناس إلى كتاب الله فإنه أدنى أن يُتَّبَعَ ، فبعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ مصعب بن عمير » كما يروى أبو نعيم عن ابن شهاب أن أهل يثرب « بعثوا إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك ، أن أبعث الينا رجلا من قِبَلكَ فليدع الناس بكتاب الله ، فإنه قَمِنٌ - أى حقيق - أن يُتبع ، فبعث إليهم رسول الله ﴿ﷺ﴾ مصعب بن عمير »[٢] .

وسواء أكان بعث مصعب بن عمير إلى يثرب مع الوفد المبايع أم بعده ، فإنه يعد أول ملحق تعليمى يبعث به الرسول ﴿ﷺ﴾ إلى يثرب ، بل إنه أول ملحق تعليمى فى الإسلام ، وأول مبعوث يقوم بهذه المهمة فى العهد النبوى بعيدا عن الإشراف والتوجيه المباشر للمعلم الأول صلوات الله وسلامه عليه ، ومن ثم فله فضل الأولية والسبق فى هذا الميدان ، الأمر الذى جعل منه نموذجا وقدوة لبعوث المعلمين والدعاة التى توالت من بعده فى العصر النبوى وفيما تلاه من عصور التاريخ الإسلامى حتى اليوم .

ولعل اختيار الرسول ﴿ﷺ﴾ لمصعب بن عمير ليكون مبعوثه الأول إلى أهل يثرب فيه دلالة على أن شخصية مصعب كان يتوفر لها من مواصفات الداعية والمعلم مايمكنها من القيام بمهمة الدعوة والتعليم ، وفى ضوء ما أوردته المصادر التاريخية عن حياة مصعب رضى الله عنه يمكن إيجاز هذه المواصفات فيما يلى:

١- أن مصعب بن عمير كان من المبكرين فى السبق إلى الإسلام ، فقد كان إسلامه

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .
(٢) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، جـ١ ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ط٣، ١٩٨٠ ، ص١٠٧ .

رضى الله عنه فى السنوات الثلاث الأولى للدعوة ، عندما كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يدعو إلى الإسلام سرا فى دار الأرقم قبل أن يجهر بالدعوة (١)، ولاشك أن السبق فى الإسلام كما يعد فضلا فى حد ذاته وعمقا فى العلم والفقه ينتج عن طول الصحبة للمعلم الأول صلوات الله وسلامه عليه ، فهو فوق ذلك دلالة على أن السابق صاحب عقل متفتح وفكر ثاقب يميز الحق من الباطل ، وهكذا كان مصعب بن عمير حين بادر وذهب إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعلن إسلامه ، ويلمس رسول الله ﴿ﷺ﴾ صدره بيده الشريفة وكأنه يثبت قواعد الإسلام فى قلبه ويمده من علمه الغزير بما يكون له أهل(٢) .

يبدو أن شخصية مصعب الرزينة وعقليته الواعية السباقة إلى الإسلام ، والشفافية النبوية إزاءها مؤشرات دالة على مايمكن أن يكون لصاحبها فى مجال العلم والفقه والدعوة.

٢- أن مصعب بن عمير رضى الله كان واحدا من هؤلاء الصحابة الكرام الذين مروا بمرحلة إعداد واقعى وتربية عملية منذ مراحل الدعوة الإسلامية الأولى ، فقد حُبِسَ وعُذِّبَ وهاجر إلى الحبشة مرتين .. ولاشك أن هذا التدريب الميدانى وتلك التربية العملية قد صقلت من شخصيته ، وأكسبته صفات الداعية والمعلم ، وأمدته بالأساليب القويمة للدعوة والتعليم .

٣- أن مصعب بن عمير رضى الله عنه قد حَبَاه الخالق سبحانه وتعالى بجمال فى الخِلْقَة والمنظر هيأة للقبول كداعية ومعلم ، فقد عرف من وصفه أنه كان جميل الطلعة ، نضر الوجه ، حسن الهيئة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، حتى كان فتى مكة جمالا وشبابا، ولعل الأبلغ مما يقوله الواصفون فى وصفه أن المشركين لما قتلوه رضى الله عنه يوم أحد حسبوه رسول الله ﴿ﷺ﴾(٣) .

---

(١) محمد حسن بريغش : مصعب بن عمير الداعية المجاهد ، دمشق ، دار القلم ، ط٥ ، ١٩٩٠ ، ص ص١-٨٢ .

(٢) أحمد الشرباصى : الداعية الشهيد مصعب بن عمير ، موسوعة الفداء فى الإسلام ، جـ٢ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٣ ، ص ص٤٠٥-٤٠٦ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ٧٧ .

٤- أن مصعب بن عمير رضى الله عنه كان يتميز بحسن الخلق وقلة الخلاف والجدل فيما لايجدى ، عرف ذلك فيه الصحابة المقربون منه ، يقول الصحابى عامر بن ربيعة «كان مصعب بن عمير لى خَدَنًا وصاحبا ، خرج معنا إلى الحبشة ، وكان رفيقى من بين القوم ، فلم أرَ رجلا قط كان أحسن خُلُقًا ، ولا أقل خلافا منه »(١) ولاشك أن حُسن الخُلُق وقلة الخلاف صفات ضرورية للداعية والمعلم الناجح .

٥- أن مصعب بن عمير رضى الله عنه كان ورعا تقيا ، مُحِبًّا لله ورسوله ، زاهدا فى الدنيا ، رغم أنه كان قبل إسلامه من شباب مكة المنعمين المترفين ، يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : نظر النبى ﴿ﷺ﴾ إلى مصعب بن عمير مُقْبِلا وعليه إِهَابُ كبش قد تَنَطَّقَ به ، فقال صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى هذا الرجل الذى قد نور الله فى قلبه ، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ، فدعاه حب الله ورسوله إلى ماترون»(٢) .

وقد بلغ من زهد مصعب رضى الله عنه أن الصحابة لم يجدوا عنده مايسترون به جثمانه حين استشهد فى غزوة أحد ، يقول خباب بن الأرت رضى الله عنه فيما رواه البخارى « قُتِلَ مصعب بن عمير يوم أحد ، لم يترك إلا نَمِرَةً كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غُطِىَ بها رجلاه خرج رأسه ، فقال لنا النبى ﴿ﷺ﴾ غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الإِذْخِر»(٣) .

يبدو مماسبق أن شخصية مصعب بن عمير رضى الله عنه كان يتوفر لها من المقومات العقلية والعلمية والأخلاقية والتربوية ماجعل الرسول ﴿ﷺ﴾ يقدمه على غيره من الصحابة ليكون أول معلم وداعية للإسلام فى يثرب ، ولاشك أن هذه المقومات تمثل أهم السمات العقلية والخُلُقيَّة والخَلْقيَّة للمعلم فى الإسلام .

---

(١) محمد حسن بريغش : مصعب بن عمير الداعية المجاهد ، مرجع سابق ، ص٥ .
(٢) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص١٠٨ .
(٣) صحيح البخارى : جـ٥ ، كتاب المغازى ، باب غزوة أحد ، ص ص٣٠-٣١ .

ولعل هذه الصفات السابقة لشخصية مصعب بن عمير رضى الله عنه كصحابى جليل ، قد لاتفى بإعطاء صورة كاملة عن شخصيته كمعلم وداعية ، غير أن استعراض المهام التى قام بها فى يثرب قد تجعل هذه الصورة أكثر اكتمالا ووضوحا .

مهام مصعب بن عمير فى يثرب :

يشير ابن اسحاق إلى المهام التى كلف بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ مصعب بن عمير رضى الله عنه حينما بعثه إلى يثرب بعد بيعة العقبة الأولى فيقول« لما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ معهم مصعب بن عمير ، وأمره أن : يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم فى الدين»(١) .

ويمكن فى ضوء ماروى عن ابن اسحاق تحديد مهام مصعب بن عمير فى يثرب فى أربع ميادين رئيسية تخص الدعوة والتعليم ، وهي:

١- إقراء القرآن الكريم لإخوانه من حديثى العهد بالإسلام من أهل يثرب-
٢- تعليم مسلمي الأنصار مبادئ الإسلام وتفقيههم فى دين الله وشريعته .
٣- إقامه الشعائر الدينية فى يثرب وإمامة الأنصار فى الصلاة .
٤- الدعوة إلى الدين الجديد بين مَنْ لَمْ يسلم من أهل يثرب .

وفيما يلى سوف يتناول الباحث هذه المهام بشئ من التفصيل ، مع بيان أسلوب مصعب رضى الله عنه وطريقته فى كل مهمة ، والنتائج التى توصل إليها فى هذه المجالات الأربعة :

ا- مصعب معلم القرآن :

كانت المهمة الأولى لمصعب بن عمير رضىَ الله عنه فى يثرب - كماسبق - هى إقراء مسلمى الأنصار القرآن الكريم ، ولم يكن يعنى إقراء القرآن عند مصعب كمعلم وداعية أن يقتصر على تلاوة القرآن الكريم بصوت رخيم وترديده على مسامع الناس حتى

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص٧٦.

يحفظوه ، أو أن يجعل من آياته نصوصا يفتتح بها دروسه ، وإنما كان يعنى عند مصعب كما فهم من معلمه الأول صلوات الله وسلامه عليه أن يكون القرآن الكريم مصدرا أساسيا لشرح الدين الإسلامى عقيدة وشريعة ، علما وعملا ، منهجا وسلوكا ، تطبيقا وحياة(١)

ومن ثم كان مصعب رضى الله عنه يُقرئ مسلمى الأنصار على الطريقة التى تعلمها من رسول الله ﴿ﷺ﴾ آيات آيات ، لايكثر منها ولايستكثر فى الجلسة الواحدة ، لأنه يعلم أن على المسلم واجبات من كل آيه ، وتكاليف بعد كل جلسة ، ولذا كان يكتفى بعشر آيات أو خمس أو ثلاث ، يقرأها أمامهم حتى يتقنوا قراءتها ، ثم يفهمهم معانيها ودلالتها فى الحياة ، حتى يتحول القرآن إلى عمل وواقع وتكليف يومى ينبغى تنفيذه ، وتتغير حياتهم وأمورهم طبقا لأوامره (٢).

أما مسلمى الأنصار كمتعلمين فكانوا يسمعون من معلمهم مصعب الآيات فيقرؤنها ويحفظونها ويفهمون كل إشارة فيها الفهم الصحيح ، ويغيرون فى واقعهم وفق ماتدل عليه ، حتى غدا القرآن منهجا لحياتهم ودستورا لسلوكهم ، وبذلك تمت مهمة مصعب الأولى على خير وجه ، حين أعطى من نفسه القدوة كمقرئ يفهم القرآن ويطبقه(٣)

ولعل مما يشير إلى النتيجة التى وصل إليها مصعب فى مجال إقراء القرآن لمسلمى الأنصار ، أن القرآن الكريم قد قُرئ فى كل بيت من بيوتهم ،و بل وحفظوا منه القدر الذى يتناسب مع المدة التى أقامها مصعب معهم ، والوقت الذى أتيح له ، يقول البراء بن عازب الأنصارى رضى الله عنه مُقررا دور مصعب فى هذا المجال « أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ مصعب بن عمير .. ولم يقدم رسول الله ﴿ﷺ﴾ حتى قرأت سورا من المُفَصَّل» (٤).

---

(١) محمد حسن بريغش : مصعب بن عمير الداعية المجاهد ، مرجع سابق ، ص١٨٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٩.

(٣) المرجع السابق ، ص ص ١٦٩-١٧١.

(٤) محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ، جـ١ ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٦٩ ، ص ص ٥١٠-٥١١ .

ويبدو أن مهمة مصعب رضى الله عنه فى مجال إقراء القرآن الكريم قد شاعت فى المدينة حتى صار لقبة مشتقا من مهمته فى هذا المجال ، يقول ابن اسحاق كان « يسمى المقرئ بالمدينة مصعب »(١) ، ويقول أبو نعيم « كان مصعب بن عمير يدعى المقرئ بالمدينة »(٢).

وقد عد المؤرخون مصعب بن عمير رضى الله عنه أول مقرئ للقرآن الكريم يقوم بهذه المهمة كمبعوث فى حياة رسول الله ﴿ﷺ﴾(٣) ، غير أن هذا لايعنى التقليل من المهام الأخرى التى قام بها مصعب فى مجالات العلم والفقه والدعوة ، كما سيأتى فيما بعد .

٢- مصعب الفقيه :

كانت المهمة الثانية التى بُعث من أجلها مصعب إلى يثرب كفقيه مكملة لمهمته الأولى فى إقراء القرآن الكريم ، ولكنها كانت تتركز على تفصيل أحكام الإسلام وشريعته حتى يتفقه مسلمو الأنصار فى دين الله ، ومن ثم كانت الموضوعات التى تدور حولها دروسه فى هذا المجال هى موضوعات العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات على ضوء مافهم مصعب من كتاب الله وماتعلمه نظريا وعمليا من سنة رسول الله ﴿ﷺ﴾(٤) .

وكانت النتيجة التى وصل إليها مصعب فى مجال الفقه لاتقل بأى حال عماوصل إليه فى المجالات الأخرى ، فقد استطاع أن يُبَصِّر مسلمى الأنصار بفقه الإسلام عقيدة وعملا ، تشريعا وسلوكا ، معاملة وخلقا ، ولعل من أبرز مايكشف عن دور مصعب فى هذا المجال ماقاله الصحابى الجليل كعب بن مالك الأنصارى عند خروجه مع وفد بيعة العقبة الثانية بعد انتهاء فترة مصعب بالمدينة ، يقول كعب « خرجنا مع حُجَّاج قومنا من

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٢) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

(٣) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، جـ١ ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، (د.ت) ، ص ٤٠ ، ص٤٢ .

(٤) محمد حسن بريغش : مصعب بن عمير الداعية المجاهد ، مرجع سابق ، ص ص١٧١-١٧٢ .

المشركين ، وقد صلينا وفُقِّهْنا(١) .

ومن ثم يعد مصعب بن عمير أول معلم وفقيه يبعث به رسول الله ﴿ﷺ﴾ لهذه المهمة فى تاريخ الإسلام (٢)، كما تعد مدرسته العلمية والفقهية أول مدرسة للتربية الإسلامية فى المدينة ، ولعل من أهم السمات التى ميزت مدرسة مصعب بن عمير أنها لم تتقاض على العلم والفقه أجرا ، فقد مكث مصعب يعلم مسلمى الأنصار ويفقههم طوال مدة إقامته بالمدينة دون أن يأخذ من أحد أجرا على التعليم(٣) ، وبهذا تكون هذه المدرسة من البدايات التى أسهمت فى وضع القواعد الأولى لمجانية التعليم فى التربية الإسلامية .

٣- مصعب الإمام الداعية :

كان من مهام مصعب بن عمير رضى الله عنه الأساسية في يثرب إمامة مسلمى الأنصار فى الصلاة « وذلك لأن الأوس والخزرج كَرِهَ بعضُهم أن يَؤُمه بعض »(٤) خاصة وأنهم كانوا فى بدء الإسلام ، فكان مصعب يؤمهم فى عباداتهم ، حتى توحد بينهم هذه العبادات وتجمعهم فى صف واحد ، لأنهم النواة الأولى للمجتمع الإسلامى الذى تعاهد على الأخوة والوحدة والمحبة .

وكان مصعب رضى الله عنه يجمع مسلمى الأنصار للصلاة إما فى دار أسعد بن زُرَارَة ، التى كان يقيم فيها مصعب ويعلم فيها المسلمين ، وإما فى دار بنى ظَفَر فى حى من أحياء يثرب ، حيث كانت تقيم هذه الأسرة مع أسرة بنى عبد الأشهل(٥) .

وقد بلغ من نجاح مصعب فى جمع كلمة مسلمى الأنصار وتوحيدهم عن طريق

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص٨١.
(٢) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٤٢.
(٣) عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد فى الإسلام ، جـ١ ، القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط٦ ، ١٩٨٣ ، ص٢٦٣ .
(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص٧٧.
(٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، جـ١ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٦ ، ١٩٦٤ ، ص ٩٥.

شعيرة الصلاة أنه « كان أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﴿ﷺ﴾ »(١) ، فى الوقت الذى لم يكن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قد أقام الجمعة فى مكة ، وقد روى المؤرخون فى تعليل ذلك روايات متفاوتة ، فقال بعضهم : إنه كان إلهاما من الله تعالى لمصعب قبل أن يُؤمر المسلمون بصلاة الجمعة ، لأن سورة الجمعة نزلت بالمدينة بعد الهجرة النبوية(٢) ، وقال البعض الآخر : إن إقامة مصعب لصلاة الجمعة بالمدينة كان بناءا على كتاب من رسول الله ﴿ﷺ﴾ بعثه إليه يأمره فيه بإقامة صلاة الجمعة(٣) .

وسواء أكانت إقامة مصعب لصلاة الجمعة بناءا على كتاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ أو بناءا على إلهام من الله تعالى له ، فإن فيها دلالة على فضل مصعب فى إقامة صلاة الجمعة لأول مرة فى الإسلام ، كما أن فيها دلالة واضحة على دور مصعب فى توحيد مسلمى الأنصار وجمع كلمتهم حتى صاروا أعز أهل المدينة ، واستطاعوا أن يجهروا بصلاة الجمعة فى الوقت الذى لم يستطع فيه المسلمون أن يفعلوا ذلك فى مكة خشية أذى المشركين .

أما دور مصعب كداعية إلى الله فهو دور ضخم بالنظر إلى الظروف التى كانت تمر بها الدعوة الإسلامية آنذاك ، فقد كان المسلمون فى مكة يمرون بمحنة عظيمة ، خاصة بعد موت أبى طالب ، ومن ثم كان على مصعب أن يجد ويجتهد فى دعوة كل أهل يثرب ، حتى يهيئ للإسلام موطنا يأوى إليه وقاعدة يعتمد عليها وينطلق منها إلى أرض الله الواسعة ، ولقد كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأصحابه فى مكة ينتظرون نتيجة دعوة مصعب لأهل يثرب ، ويتعاظم أملهم فى أن تصبح المقر الآمن لدولة الإسلام وإقامة المسلمين ، وحينئذ أدرك مصعب دوره كداعية ، وأن اختيار الرسول ﴿ﷺ﴾ له إنما كان عن قصد وخبرة وثقة(٤).

---

(١) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص١٠٧.

(٢) أحمد الشرباصى : مصعب بن عمير الداعية المجاهد ، مرجع سابق ،ص١٩٥.

(٣) محمد حسن بريغش : مصعب بن عمير الداعية المجاهد ، مرجع سابق ، ص١٩٥.

(٤) المرجع السابق ، ص١٧٣ .

وقد كانت النتيجة التى وصل إليها مصعب - ومازالت - في مجال الدعوة مثارا للدهشة والإعجاب ، فقد استطاع فى أقل من عام أن يحقق ماقد تعجز عنه جهود الدعاة والمعلمين فى قرون كاملة ، فقد أسلم علي يديه معظم سكان يثرب ، ودخل الإسلام معظم - إن لم يكن كل - بيوتها ، يشير إلى ذلك ماقرره ابن اسحاق من أن مصعبا رضى الله عنه أقام في المدينة يدعو حتى « لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون »[١] ، ويؤكد ذلك أيضا الفارق الكبير بين العدد الذى التقى برسول الله ﴿ﷺ﴾ من الأنصار فى بيعة العقبة الأولى ، والعدد الذى التقى به فى البيعة الثانية ، فقد كان العدد فى البيعة الأولى اثنا عشر رجلا ، بينما كان العدد فى البيعة الثانية ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، وكانوا مجرد رموز لمسلمى الأنصار ، وليسوا كلهم ، ومعظمهم لم يعرفوا رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولم يروه من قبل ، لأن هدايتهم الأولى كانت على يد داعية المدينة ومعلمها الأول مصعب الخير رضى الله عنه .

أسلوب مصعب فى الدعوة والتعليم :

سلك مصعب رضى الله عنه فى دعوة وتعليم الأوس والخزرج أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، تحقيقا لمنهج الله فى الدعوة ، والذى رسمته آيات القرآن الكريم « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »[٢] .

ولم يغب عن مصعب رضى الله عنه ذلك النموذج العملى للداعية والمعلم ، والذى شاهده فى رسول الله ﴿ﷺ﴾ طيلة زمن الدعوة فى مكة ، رأى فيها صبر الداعية وخلقه العظيم ، وأن هداية رجل على يديه خير من الدنيا ومافيها ، هذا إضافة إلى شخصية مصعب التى تحمل مقومات الداعية والمعلم ، من قبول وصبر وتدريب وخلق وقلة خلاف وجدل ، ولذلك « كان مصعب نموذجا حيا للداعية المسلم ، الذى يقوم بأمر دعوته علي

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص٨٠ .

(٢) سورة النحل ، آيه ١٢٥ .

أكمل وجه .. ويمثلها بأجلى معانيها وأدق خصائصها ... فلقد كان فى سيرته وخلقه وشدة إيمانه ووعيه وسلوكه مثالا للداعية المسلم»[١] .

ولعل فى إيراد مثال مما فعله مصعب رضى الله عنه فى دعوة وتعليم الأوس والخزرج مايبرز منهجه وطريقته فى الدعوة والتعليم ، يروى ابن هشام عن ابن اسحاق أن مصعبا لما قدم يثرب نزل على أسعد بن زرارة وهو من أوائل مسلمى الأنصار وممن حضر البيعة الأولى وكان سيدا فى قومه ، فأقام مصعب فى داره يقرئ مسلمى الأنصار القرآن ويفقههم فى الدين ويؤمهم فى الصلاة ، وذات يوم خرج مصعب مع أسعد بن زرارة يريد دعوة بنى عبد الأشهل وبنى ظفر إلى الإسلام ، فجلسا فى بستان من بساتين بنى ظفر ، واجتمع إلى مصعب من أسلم من الأنصار ، وبينما هو يقرئهم القرآن ويشرح لهم تعاليم الإسلام ، إذ أبصرهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير «انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما ، وانههما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كَفَيْتُكَ ذلك » ، وكان أسعد بن زرارة ابن خالة سعد بن معاذ ، فانطلق أسيد بن حضير إليهما ومعه حربة يريد أن يطعن بها مصعبا ، فلما رآه مصعب قال لأسعد بهدوء الداعية الواثق من منهجه وأسلوبه «إِنْ يَجْلِس أُكَلِّمْهُ» ولكن أسيدا وقف عليهما متشتما ، فقال له مصعب « ألا تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كُفَّ عنك ماتكره » فقال أسيد « أنصفت» وجلس يسمع ومصعب يشرح له تعاليم الإسلام ويقرأ عليه القرآن ، حتى انشرح صدر أسيد للإسلام ، وقال « ما أحسن هذا الكلام وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين « فأرشده مصعب ، فأسلم»[٢]

ولما عاد أسيد بن حضير إلى سعد بن معاذ عرض عليه أن يذهب إليهما دون أن

---

(١) محمد حسن بريغش : مصعب بن عمير الداعية المجاهد ، مرجع سابق ، ص ص١٧٤-١٧٥.
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص ص٧٧-٧٨ .

يخبره بإسلامه ، فذهب سعد بحربته إلى مصعب ، وفعل معه مصعب كما فعل مع أسيد بن حضير ، وظل يدعوه ويتلو عليه القرآن ، حتى أسلم ، بل وانقلب إلى داعية فى نفس اليوم ، فقد رجع إلى قومه ، فقال لهم « يابنى عبد الأشهل : كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا : سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيا ، قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عَلَيَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قالا : فو الله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجلا ولا امرأة إلا مسلما ، ورجع أسعد ومصعب إلى دار أسعد بن زرارة ، فأقام مصعب عنده يدعو الناس حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء ومسلمون »(١) .

ولعله يبدو واضحا كيف كانت طريقة مصعب رضى الله عنه فى الدعوة والتعليم تقوم على الصبر والهدوء ، وإدراك مكانة المدعو فى قومه ، ومايتوقع من إسلامه ، وتقدير عقليته ، والثقة فى إنصافه لدعوة الحق ، والبراعة فى عرض رسالة الإسلام من خلال آيات القرآن وسنة خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، وكيف كان مصعب يتحرك بالدعوة فى دور الأنصار وقبائلهم ، فيطوف عليهم ويدعوهم ويتلو عليهم القرآن ، فتكسب الدعوة فى كل يوم رجالا يشدون من أزرها ويوسعون من دائرة انتشارها .

رجوع مصعب من يثرب :

رجع مصعب بن عمير رضى الله عنه معلم وفقيه وداعية يثرب مع وفدهم الذى قصد مكة فى موسم الحج فى السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية ليشهد بيعة العقبة الثانية مع تلاميذه ، وقد فتح الله على يديه يثرب بالقرآن لتصبح أول دار إسلام فى العهد النبوى وفى تاريخ الدعوة الإسلامية بأكملها .

ثانيا - بعث ابن أم مكتوم :

ابن أم مكتوم هو الصحابى الجليل عمرو بن قيس بن زائدة القرشى العامرى ، وقيل اسمه عبد الله أو الحصين ، من السابقين الأولين إلى الإسلام ، كان كفيف البصر ، وأمه

---

(١) المرجع السابق ، ص ص٧٨-٨٠ .

هى عاتكة بنت عبد الله وتعرف بأم مكتوم [١].

ولابن أم مكتوم قصة عاتب الله فيها نبيه «ﷺ» فى بداية سورة عبس[٢] ، وفى هذه القصة دلالة على شغف ابن أم مكتوم بالعلم وحرصه على طلبه ، وخاصة القرآن الكريم ، الذى توفر على حفظه منذ إسلامه ، وساعده فى ذلك كف بصره وسعة وقته ، وسيرد فيما بعد كيف أنه حين قدم يثرب على الصحابى الجليل مصعب بن عمير مقرئ المدينة ومعلمها الأول ترك له مصعب إمامة الناس فى الصلاة ، لأنه كان أكثر منه حفظا للقرآن .

ولعل ماتميزت به شخصية ابن أم مكتوم من العلم وخاصة فى مجال قراءة القرآن الكريم وإقرائه هو مارشح ابن أم مكتوم عند رسول الله «ﷺ» لكى يبعث به مقرئا ومعلما لأهل يثرب مع مصعب بن عمير رضى الله عنهما ، حيث إن إقراء القرآن كان يمثل صلب المهمة الأساسية للمبعوثين من أصحابه صلوات الله وسلامه عليه .

ومع أن الروايات التاريخية تتفاوت حول إرسال النبى «ﷺ» لابن أم مكتوم إلى يثرب ، هل كان برفقة مصعب بن عمير أم بعده ، إلا أنها تتفق على أنه كان هو ومصعب أول من قدم يثرب من صحابة رسول الله «ﷺ» بعد بيعة العقبة الأولى ، أى فى السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية [٣]، ويؤيد ذلك مارواه الإمام البخارى فى صحيحه عن البراء رضى الله عنه قال « أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، وكانا يقرئان الناس »[٤] أى يعلمانهم القرآن الكريم .

---

(١) أحمد الشرباصى : الشهيد المكفوف عمرو ابن أم مكتوم ، موسوعة الفداء فى الإسلام ، جـ١ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٢ ، ص٣٤٠.

(٢) راجع ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ، القاهرة ، مكتبة دار التراث ، ١٩٨٠ ، ص ص٤٧٠-٤٧١ .

(٣) محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٥١٠ ، وأيضا أحمد الشرباصى الشهيد المكفوف عمروا بن أم مكتوم ، مرجع سابق ، ص٣٤١ .

(٤) صحيح البخارى ، جـ٤ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مقدم النبي «ﷺ» وأصحابة المدينة ،ص٢٦٤.

وسواء أكان إرسال النبى ﴿ﷺ﴾ لابن أم مكتوم إلى يثرب برفقة مصعب بن عمير أم بعده فإن ابن أم مكتوم قد شارك مصعبا فى دعوة أهل يثرب إلى الإسلام ، وتعليم مسلمى الأنصار كتاب الله وسنه نبيه ﴿ﷺ﴾ وفقه الإسلام [١]، إضافة إلى إمامته لهم فى الصلاة ، حيث روى « أن مصعب بن عمير ظل يؤم مسلمى الأنصار حتى قدم عبد الله بن أم مكتوم إلى المدينة ، فأصبح إماما لكثرة حفظه للقرآن الكريم »[٢] .

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لم تتوسع فى إبراز الدور الذى قام به ابن أم مكتوم فى يثرب إلا أن مشاركته لمصعب بن عمير فى مجال الدعوة والتعليم واضحة ، وخاصة فى مجال تعليم القرآن الكريم ، كما يبدو من رواية الإمام البخارى السابقة عن البراء رضى الله عنه .

ويبدو أن ابن أم مكتوم رضى الله عنه قد مكث بيثرب يؤم مسلمى الأنصار فى الصلاة ويقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الإسلام ، حتى هاجر رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى المدينة وبنى بها مسجده الشريف وجعل فى مؤخرته مكانا لأهل الصفة الفقراء ، فنزل ابن أم مكتوم مع أهلها ، لكن النبى ﴿ﷺ﴾ أنزله دار الغذاء وهى دار مخرمة بن نوفل[٣] ، وقد أطلق صاحب نظام الحكومة النبوية على هذا الدار اسم (دار القراء)[٤] ، غير أن الباحث لم يعثر بالمصادر التاريخية فى حدود بحثه على مايعزز هذه التسمية ، ولعل تسميتها بدار الغذاء يرجع إلى أنها كانت مكانا لغذاء وفود العرب التى كانت تفد على مقر الحكومة النبوية .

---

(١) أحمد الشرباصى : الشهيد المكفوف ، مرجع سابق ، ص٣٤١.
(٢) محمد حسن بريغش : مصعب بن عمير الداعية المجاهد ، مرجع سابق ، ص١٧٢.
(٣) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٤ .
(٤) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ١ ، مرجع سابق ،ص ٥٦ .

المبحث الثاني
بعوث المعلمين إلى اليمن

تعد اليمن إحدى البلدان العربية المعروفة بحضارتها القديمة قبل الإسلام ، فقد كانت تعرف باليمن الخضراء « لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها ، والبحر مُطِيفٌ بها من المشرق إلى الجنوب فراجعا إلى المغرب »(١) .

ويقال إن اليمن سميت بهذا الاسم «لِتَيَامُنِ أهلها إليها ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : تفرقت العرب فمن تيامن منهم سميت اليمن ، ويقال : إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم ، فالتأمت بنو يمن إلى اليمن ، وهى أَيْمَنُ الأرض ، فسميت بذلك »(٢) .

وقد كان النبى ﴿ﷺ﴾ شديد الاهتمام ببلاد اليمن ، أثنى على أهلها فى أحاديث كثيرة - كما سيرد فيما بعد- ودل على اهتمامه بها تعدد بعوث المعلمين من أصحابه الذين أرسلهم إليها للدعوة والتعليم ، وانتقاء هؤلاء المبعوثين ممن يثق بعلمهم وفقههم كمعاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى وعلى بن أبى طالب وخالد بن الوليد رضى الله عنهم أجمعين .

وسوف يتناول الباحث بعوث المعلمين إلى اليمن فى العهد النبوى حسب التسلسل التاريخى لإرسال هؤلاء المعلمين مبتدئا ببعث معاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى ، ثم بعث خالد بن الوليد وعلى بن أبى طالب ، رضوان الله عليهم .

أولا - بعث معاذ بن جبل :

يتناول هذا الجزء الخاص ببعث معاذ بن جبل رضى الله عنه إلى اليمن عدة نقاط متدرجة تتعلق بتاريخ بدء بعثة معاذ ونهايتها ، والجهة التى بعث إليها معاذ من أرض اليمن ، وشخصية معاذ كمعلم وفقيه وداعية والتى جعلت النبى ﴿ﷺ﴾ يختاره لهذه

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، مرجع سابق ، ص٤٤٧

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

البعثة ، والمهام التى قام بها معاذ فى اليمن فى ضوء ماكلفه به رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، وأسلوبه فى الدعوة والتعليم ، ثم منهجه العلمى .

تاريخ بدء بعثة معاذ ونهايتها :

تتفاوت الروايات التاريخية حول التاريخ الذى بعث فيه رسول الله ﴿ﷺ﴾ معاذ بن جبل رضى الله عنه إلى اليمن ، فتذهب بعض الروايات إلى أن بعثه كان عام فتح مكة ، أى فى السنة الثامنة من الهجرة ، غير أن هذا التاريخ يبدو أنه ليس هو التاريخ الأقرب للصواب ، لأنه ثبت تاريخيا أن معاذا شهد فتح مكة ، واستخلفه رسول الله ﴿ﷺ﴾ عليها مع عتاب بن أسيد ليفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن ، كما ثبت أن معاذا شهد مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ غزوة تبوك التى كانت فى رجب من السنة التاسعة من الهجرة (١)، وكل هذا يرجح أن بعثه لم يكن فى السنة الثامنة من الهجرة ، وإنما كان بعدها .

ويذهب ابن هشام ومؤرخون آخرون إلى أن بعث معاذ إلى اليمن كان فى السنة التاسعة من الهجرة ، أى بعد غزوة تبوك ، حيث قدم على رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى رمضان من السنة التاسعة رسول ملوك حمير بكتابهم الذى يقرون فيه بالإسلام ، فبعث رسول الله إليهم معاذ بن جبل فى جماعة من أصحابه (٢).

وكتب رسول الله ﴿ﷺ﴾ كتابا إلى ملوك حمير يوصيهم فيه بمعاذ بن جبل ورفقائه ، ويبين مكانتهم فى الإسلام ، وضرورة الاستفادة من علمهم وفقههم ، فقال ﴿ﷺ﴾ فيه «أما بعد ... إذا أتاكم رسلى ، فأوصيكم بهم خيرا : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة المعارف (د.ت) ، ص ص١٠٢-١٠٣ ، وأيضا عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٤٣ ، وأيضا محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص٣١٨.

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ، مرجع سابق ، ص٢٣٥ ، وأيضا الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ص١٢٠-١٢٢ وأيضا ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص٧٥ .

ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة ... وأنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينى وأولى علمهم ، وآمركم بهم خيرا فإنهم منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »(١) .

ومضمون الكتاب كما أورده ابن هشام يتناول - فوق وصية الرسول ﴿ﷺ﴾ لملوك حمير بمعاذ وزملائه - بيان بعض أحكام الإسلام كالطاعة لله ورسوله ، وإقامة الصلاة ، وتفصيل أحكام الزكاه والغنائم والجزية ، هذا إضافة إلى توصية ملوك حمير بأهلها خيرا ، وجمع الصدقات من أغنيائهم لصرفها فى مصارفها الشرعية(٢) .

أما الإمام البخارى فيذهب إلى أن بعث معاذ إلى اليمن كان فى السنة العاشرة من الهجرة قبل حجة الوداع ، فقد بوب فى صحيحه بابا بعنوان « بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع »(٣) ، وروى البخارى فى هذا الباب عدة أحاديث تتضمن بعض وصايا رسول الله ﴿ﷺ﴾ لمعاذ وأبى موسى ، وسوف يتم تناولها فى موضعها .

ولعل الجمع بين رواية ابن هشام ورواية الإمام البخارى يشير إلى أن بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ لمعاذ بن جبل إلى اليمن كان فى نهاية السنة التاسعة أو بداية السنة العاشرة من الهجرة تمشيا مع رواية البخارى التى جاءت فى الصحيح ، أما الروايات التى تذهب إلى أن بعثه كان فى السنة الثامنة من الهجرة فهى أضعف الروايات .

ومع أن الروايات التاريخية قد تفاوتت حول بدء بعثة معاذ إلى اليمن إلا أن هناك اتفاقا على أن عودته منها كانت فى نهاية السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية ، حيث غادرها إلى مكة فى موسم الحج فى العام الأول من خلافة الصديق أبى بكر رضى الله عنه

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ، مرجع سابق ، ص ص٢٣٦-٢٣٧.

(٢) راجع نص الكتاب فى المصدر السابق ، ص ص٢٣٥-٢٣٧.

(٣) صحيح البخارى : جـ٥ ، كتاب المغازى ، باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، ص١٠٧ .

وبعد انتهائه من مناسك الحج عاد إلى المدينة المنورة (١).

وإذا كانت بعثة معاذ رضى الله عنه إلى اليمن قد بدأت فى نهاية العام التاسع أو بداية العام العاشر من الهجرة وانتهت فى ذى الحجة من العام الحادى عشر ، فإن معاذا يكون قد أمضى مايقرب من عامين مبعوثا من رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى أهل اليمن .

الجهة التى نزل بها معاذ من أرض اليمن :

لم يكن معاذ بن جبل رضى الله عنه هو المبعوث الوحيد الذى أرسله النبي ﴿ﷺ﴾ للدعوة والتعليم باليمن ، وإنما كان معه أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه ، ومن ثم فقد وجه الرسول ﴿ﷺ﴾ كل واحد منهما إلى جهة من أرض اليمن ، يروى الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى بردة قال :« بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ أبا موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل إلى اليمن ، قال : وبعث كل واحد منهما على مخلاف ، قال : واليمن مخلافان ... »(٢) ، ولما كان المخلاف يعنى الجهة أو المنطقة ، واليمن فى ذلك الوقت كانت منطقتين أو جهتين فيكون إرسال معاذ إلى جهة أو منطقة منها وإرسال أبي موسى إلى الجهة أو المنطقة الثانية.

وقد أشار معاذ رضى الله عنه إلى الجهة أو المنطقة التى أمره رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن ينزل بها من أرض اليمن ، وهى مدينة (الجَنَد) بين الحيين السكون والسكاسك ، فقال معاذ رضى الله عنه « بعثنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى اليمن ، فقال : قد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم .. فانزل بين الحيين السكون والسكاسك »(٣) ، وهما حيان من القبيلة العربية المشهورة (كِنْدَة) التى كانت منازلها تمتد مابين اليمن وحضرموت ، والجند من أرض سكاسك ، وبينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخا ، وقد اشتهرت الجند بعد نزول معاذ

---

(١) محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص ص٣٢٠-٣٢٢.

(٢) صحيح البخارى : جـ٥ ، كتاب الغزوات ، باب بعث أبى موسى الأشعرى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، ص ص١٠٧-١٠٨.

(٣) الإمام أحمد: المسند ، جـ٥ ، بيروت ، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٩٧٨ ، ص٢٣٥.

ابن جبل رضى الله عنه فيها ، وأصبحت من أكبر المراكزالدينية والعلمية فى اليمن(١) .

اتخذ معاذ مدينة الجند مركز نشاطه وعمله فى اليمن ، وأسس فيها مسجدا سمى بعد ذلك بإسمه ، ولايزال بها حتى اليوم ، وانطلق معاذ من هذا المسجد يدعو إلى الله وينشر الإسلام فى اليمن ، يقرئهم القرآن ويفقههم فى دين الله ، وعلى الرغم من أن إقامة معاذ رضى الله عنه باليمن كانت فى مدينة الجند إلا أنه يبدو أن طبيعة عمله كمعلم وداعية جعلته يتنقل فى كل أرجاء اليمن وحضرموت ، ولم يقتصر عمله على مدينة الجند وماحولها(٢) .

وظل معاذ رضى الله عنه يتنقل فى بلاد اليمن داعيا ومعلما حتى حدثت فتنة الأسود العنسى الذى ادعى النبوة ، واستولى على نجران وصنعاء وقتل عمال النبى ﴿ﷺ﴾ عليهما ، فانحاز معاذ إلى أرض السكون جهة حضرموت ، حتى جاءه كتاب النبى ﴿ﷺ﴾ الذى يأمر فيه المسلمين بقتال الأسود ، فقام معاذ بتبليغ الكتاب إلى عمال النبى ﴿ﷺ﴾ وكل من قدر عليه من المسلمين باليمن ، حتى تمكن المسلمون من قتل الأسود وهزيمة أتباعه، ورجع عمال النبى ﴿ﷺ﴾ إلى أعمالهم ، واتفقوا على أن يصلى معاذ رضى الله عنه بالناس فى مسجد صنعاء ، وبعد قتل الأسود بثلاثة أيام انتقل رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى الرفيق الأعلى ، واضطربت الأحوال فى اليمن فاضطر معاذ إلى مغادرتها فى نهاية العام الذى توفى فيه رسول الله ﴿ﷺ﴾(٣) .

يبدو مماسبق أن اليمن كانت عند بعث معاذ بن جبل رضى الله عنه إليها عبارة عن منطقتين رئيسيتين ، كل منطقة منها تضم مجموعة من القرى والبلدان ، وحرصا من

---

(١) عبد الحميد محمود طهماز : معاذ بن جبل إمام العلماء ومعلم الناس الخير ، بيروت ، دار القلم ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، ص ص٦٢-٦٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ص٦٣-٦٤.

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ص٢٢٩-٢٣١ ، وأيضا عبد الحميد محمود طهماز : معاذ بن جبل إمام العلماء ومعلم الناس الخير ، مرجع سابق ، ص ص٦٨-٧٣.

الرسول صلوات الله وسلامه عليه على أن تمتد دعوة الله إلى كل أرجاء اليمن بعث إليها كل من معاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى ، وأمر كل واحد منهما أن ينزل فى منطقة ، ومع أن المقر الرئيسى للمنطقة التى نزل بها معاذ كان مدينة (الجند) إلا أنه بدا واضحا أنه كان يتنقل فى عمالة كل عامل من عمال النبى ﴿ﷺ﴾ على اليمن وحضرموت ، يدعو إلى الله، ويقرئ القرآن ويعلم الناس ، ويفقههم فى دين الله ، يساعده على ذلك إمكاناته وقدراته العلمية والفقهية الخاصة .

معاذ بن جبل المعلم الفقيه :

لاشك أن شخصية معاذ بن جبل رضى الله عنه وقدراته الخاصة فى مجال العلم والفقه كانت وراء اختيار النبى ﴿ﷺ﴾ له من بين الصحابة لكى يبعث به كمعلم وداعية إلى اليمن ، ويمكن تبين المقومات التى شكلت شخصية معاذ كمعلم وفقيه من خلال النقاط التالية :

١- أن معاذ بن جبل رضى الله عنه كان أحد شباب الأنصار المتحمسين للدعوة الإسلامية ، فقد أسلم بعد بيعة العقبة الأولى وعمره ثمانية عشر عاما ، وقد مكنه شبابه وحماسه من أن يشارك فى أحداث الدعوة الإسلامية فى مرحلتها المدنية منذ بداياتها ، فقد شهد بيعة العقبة الثانية ، والتقى برسول الله ﴿ﷺ﴾ وبايعه ، ومارس مهمة الدعوة والتعليم بالمدينة قبل قدوم النبى ﴿ﷺ﴾ إليها سواء دعوة عرب يثرب وتكسير أصنام من بقى منهم على الوثنية أو دعوة يهود يثرب وأحبارها إلى الإسلام [(١)]، ولاشك أن هذه البدايات الأولى تشير الى أن مقومات الداعية والمعلم كانت تأخذ طريقها إلى النضوج فى شخصية معاذ رضى الله عنه .

٢- كان معاذ رضى الله عنه من كبار حفاظ القرآن الكريم ومعلميه من صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ حتى عده الصحابى الجليل أنس بن مالك أحد أربعة من الصحابة

---

(١) عبد الحميد محمود طهماز : معاذ بن جبل إمام العلماء ، ومعلم الناس الخير ، مرجع سابق ، ص ص١٦-٢٣ .

اشتهروا على عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ بحفظ القرآن ، فقال « جمع القرآن على عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ أربعة كلهم من الأنصار : أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت، قيل لأنس : من أبو زيد؟ قال : أحد عمومتي »[١] .

وبلغ من شهرة معاذ رضى الله عنه فى مجال قراءة القرآن وإقرائه أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان يوصى الناس بأن يتعلموا القرآن على يديه ، لثقته صلوات الله وسلامه عليه بحفظه وحسن تعليمه ، فيقول « استقرئوا القرآن من أربعة ، من ابن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل »[٢] .

واضح أن تميز معاذ بن جبل رضى الله عنه فى مجال قراءة القرآن الكريم وإقرائه كان أحد الركائز الأساسية لمقومات شخصيته كمعلم وفقيه وداعية ، ولعله كان أيضا أحد الأسباب التى جعلت الرسول ﴿ﷺ﴾ يختاره لبعثة اليمن التى كان من مهامه فيها إقراء مسلمى اليمن القرآن الكريم كما سيرد فيما بعد .

٣- كان معاذ رضى الله عنه من كبار علماء الصحابة المعدودين ، وفقهائهم المشهورين ، سواء فى مجال العلم بالسنة أو فقه الإسلام ، ففى مجال العلم بالسنة النبوية يعد معاذ من أئمة الحديث ورواته ، وقد عده الحافظ الذهبى ثامن صحابى فى الطبقة الأولى من حفاظ الحديث وحملة العلم النبوى من الصحابة بعد الراشدين الأربعة وابن مسعود وأبى بن كعب وأبى ذر[٣] ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وفى مجال العلم بفقه الإسلام وأحكامه روى أن النبى ﴿ﷺ﴾ قدمه على أصحابه جميعا ، فقال « أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ »[٤] ، بل إن النبى ﴿ﷺ﴾ رأى فيه إماما

---

(١) صحيح البخارى ، جـ٤ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب زيد بن ثابت ، ص ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) المرجع السابق ، باب مناقب معاذ بن جبل رضى الله عنه ، ص٢٢٨.

(٣) الحافظ الذهبى (شمس الدين): تذكرة الحفاظ ، جـ١ ، بيروت ، دار احياء التراث العربى ، ١٣٧٤هـ، ص ١٩.

(٤) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٢٢٨.

لعلماء أمته ، فقال « معاذ إمام العلماء برتوة »[١] ، أى يسبقهم بمقدار رمية بسهم أو بحجر أو بميل أو مدى البصر .

واضح أن العلم والفقه كان أحد السمات البارزة التى ميزت شخصية معاذ رضى الله عنه ، فلم يقف علمه عند حفظ كتاب الله وتعليمه ، بل جمع إلى جانب ذلك العلم بالسنة وفقه التشريع الإسلامى ، ومن ثم فليس غريبا أن يكلفه النبى ﴿ﷺ﴾ بمثل هذه المهمة العلمية الكبيرة ، وهى تعليم أهل اليمن كتاب الله وسنة نبيه ﴿ﷺ﴾ وتفقيههم فى دين الله .

٤- ومن المجالات الخاصة التى بدت فيها شخصية معاذ رضى الله عنه كعالم وفقيه مجال الإفتاء والقضاء ، فقد مكنه علمه بالكتاب والسنة وفقه الإسلام - كما سبق - من أن يكون واحدا من الصحابة القلائل الذين طارت شهرتهم فى مجال القضاء والفتوى فى حياته صلوات الله وسلامه عليه وبعده ، ففى مجال الفتوى عده التابعون واحدا من سته كانوا يفتون على عهد النبى ﴿ﷺ﴾ ثلاثة من المهاجرين وهم عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان ، وثلاثة من الأنصار وهم أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت[٢] ، لاسيما وأن النبى صلوات الله وسلامه عليه « كان لاينكر فتوى غيره فى زمانه، لأنه صدر عن تعليمه »[٣] .

وفى مجال القضاء كان معاذ بن جبل وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما يتنازعان موقع الصدارة بين الصحابة ، ففى الوقت الذى كان فيه معاذ من أعلم الصحابة بالحلال والحرام وأصول الأحكام وإقامة الأدلة والبراهين كان عَلِىٌّ إلى جانب ذلك « أشد تفطنا لحجج الخصوم وخدع المتحاكمين »[٤] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٩.

(٢) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٥٧.

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) المرجع السابق ، ص٥٨ .

وإذا كان القضاء والفتوى أحد المجالات الهامة التى برزت فيها شخصية معاذ العلمية والفقهية ، فهى - كما سيرد فيما بعد- أحد العوامل التى رشحته لبعثة اليمن التى كان من مهامه فيها القضاء والفتوى .

٥- كان معاذ رضى الله عنه إلى جانب علمه وفقهه يتمتع بكثير من الصفات الشخصية التى تجعل منه معلما يُقبل الناس عليه ويتأسون به ، فقد جمع بين حسن الخِلْقَة وحسن الخُلُق ، يقول الصحابى الجليل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما « كان معاذ من أحسن الناس وجها ، وأحسنهم خلقا ، وآسمحهم كفا » ويقول أبى بن كعب رضى الله عنه « كان معاذ شابا جميلا سمحا من خير شباب قومه »(١) ، ويصفه أبو دريس الخولانى فيقول « كان أبيض ، وضئ الوجه ، براق الثنايا ، أكحل العين »(٢) .

كما كان معاذ رضى الله عنه إماما فى الورع والتقوى ، حتى أن الصحابة كانوا يشبهونه بالخليل إبراهيم عليه السلام ، فقد روى فروة بن نوفل الأشجعى عن الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال « إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا ، فقلت : إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ؟ قال : مانسيت ، أتدرى ما الأمة وما القانت ؟ فقلت : الله أعلم ، فقال : الأمة الذى يعلم الناس الخير ، والقانت المطيع لله وللرسول ، وكان معاذ يعلم الناس الخير ومطيعا لله ولرسوله » (٣).

وإلى جانب جمال خلق معاذ وخلقته وورعه وعلمه كانت تبدو عليه هيبة العلماء ووقارهم ، ولعل هذا يفسر ماروى عن شهر بن حوشب أنه قال « كان أصحاب رسول الله إذا تحدثوا وفيهم معاذ بن جبل نظروا إليه هيبة منه » (٤).

---

(١) محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص ص٣١٩-٣٢٠.

(٢) ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ٦ ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، (د.ت) ، ص١٣٦.

(٣) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٢٣٠.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣١.

واضح أن الصفات التى ميزت معاذ بن جبل رضى الله عنه قد صقلت من شخصيته كمعلم وفقيه وداعية وجعلته إماما وقدوة يتأسى الناس به ، لأن سمت الداعية والمعلم قد يكون أبلغ فى التأثير أحيانا من الحذلقة فى الكلام وتنميق العبارات ، الأمر الذى جعل النبى صلوات الله وسلامه عليه يختاره لهذه المهمة الجليلة فى اليمن .

مهمة معاذ بن جبل فى اليمن :

تتفاوت الروايات التاريخية حول تحديد مهمة معاذ بن جبل رضى الله عنه فى اليمن ، هل بعثه النبى ﴿ﷺ﴾ معلما أم قاضيا ؟ فذهب الطبرى فى تاريخه الى أنه بعث معلما ، فقال « وبعث معاذ بن جبل معلما لأهل البلدين اليمن وحضرموت »[١] ، وقال الطبرى أيضا بعد أن تحدث عن الولاة الذين ولاهم النبى ﴿ﷺ﴾ على اليمن « وكان معاذ معلما يتنقل فى عمالة كل عامل باليمن وحضرموت »[٢] ، أى أنه كان يتنقل فى بلدان اليمن وحضرموت التى بها ولاة وعمال النبى ﴿ﷺ﴾ يدعو إلى الله ويعلم الناس .

أما ماروى عن ابن عبد البر فيشير إلى أن معاذا بعث إلى إليمن قاضيا ، ومعلما ، ومصدقا ، أى جامعا للصدقات ، فيقول « بعثه رسول الله ﴿ﷺ﴾ قاضيا إلى الجند من اليمن ، يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ، ويقضى بينهم ، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن »[٣] .

ويضيف ابن كثير فى البداية والنهاية إلى مهام معاذ باليمن الحكم فى الحروب وإمامة الناس فى الصلاة ، فيقول « والمقصود أن معاذا رضى الله عنه كان قاضيا للنبى ﴿ﷺ﴾ وحاكما فى الحروب ، ومصدقا إليه تدفع الصدقات ... وقد كان بارزا للناس يصلى بهم الصلوات الخمس »[٤] .

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد) : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، جـ٣، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، (د.ت) ، ص١٤٠٣.

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص١٠٣.

يبدو مماسبق أن مهمة معاذ رضى الله عنه باليمن « كانت شاملة لشئون الدعوة إلى الله ، ونشر الإسلام ، وتعليم الناس مبادئ دينهم الجديد ، وتعليمهم قراءة القرآن الكريم ، وفصل الخصومات بينهم ، وجمع الصدقات ، وأخذ الجزية »[1] وإمامة الناس فى الصلاة .

ولعل تعدد المهام التى كلف بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ معاذ بن جبل رضى الله عنه باليمن تبدو أكثر وضوحا من خلال مايلى :

١- تعدد الوصايا التى أوصى بها النبى ﴿ﷺ﴾ معاذا حين بعثه إلى اليمن ، حيث لم تقف هذه الوصايا عند مجال واحد ، بل كانت شاملة لأمور عديدة سواء فى مجال الدعوة إلى الله ونشر الإسلام ، أو فى مجال القضاء وفصل الخصومات بين الناس أو فى مجال الولاية العامة والحرص على أموال الأمة ، أو حتى فى معيشة معاذ الخاصة ، وهذا كله يدل على تشعب مهمته فى اليمن .

٢- أن طبيعة العمل الذى كان يسنده رسول الله﴿ﷺ﴾ إلى المبعوثين من أصحابه حينما يرسلهم إلى جهة من الجهات كانت مهامه متعددة ، نظرا لما كانت تتطلبه حاجة القبائل والقرى والبلدان التى يرسلون إليها كمناطق مازالت حديثة العهد بالإسلام ، ومن ثم فهى فى حاجة إلى جهود فى مجالات متعددة كإقراء المسلمين الجدد القرآن الكريم ، وتعليمهم سنة النبى ﴿ﷺ﴾ وتفقيههم فى دين الله ، والقضاء بينهم بشريعة الله ، والولاية أو العمالة فى جمع الزكاة والصدقات والجزية ، هذا إلى جانب دعوة غير المسلمين من أهل تلك البلاد إلى الإسلام ، وهى مهام كان الصحابة رضوان الله عليهم مهيؤن ومعدون لها من قبل على يد معلمهم الأول صلوات الله وسلامه عليه .

٣- أن معاذا رضى الله عنه رغم إقامته فى مدينة (الجَنَد) إلا أنه كان يتنقل فى بلدان اليمن وحضرموت ، مما يدل على تشعب مهمته فى شئون الدعوة والتعليم والقضاء والولاية العامة ، وأنه لم يكن أميرا أو واليا محددا بمنطقة معينة ، وليس أدل على ذلك

---

(١) عبد الحميد محمود طمهاز : معاذ بن جبل إمام العلماء ومعلم الناس الخير ، مرجع سابق ،ص٦٢.

من أن كتب السيرة والتاريخ ذكرت عمال النبى ﴿ﷺ﴾ ولم تذكر بينهم معاذا رضى الله عنه[١] ، بل إن الطبرى فى تاريخه ذكر أن مدينة الجند التى كانت مركز نشاط معاذ كان بها عامل للنبى ﴿ﷺ﴾ وهو يعلى بن أمية ، أما معاذ فكان معلما يتنقل فى البلدان التى بها عمال النبى ﴿ﷺ﴾ وولاته باليمن وحضرموت[٢] .

والمتأمل فى هذه المهام التى أسندها رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى معاذ رضى الله عنه يمكنه أن يحصرها فى مهمة أساسية وهى الدعوة والتعليم ، لأن المهام الأخرى كانت مرتبطة بمهمة الدعوة والتعليم بمعناهما الواسع والشامل سواء أكان فيما يتعلق بإمامة الناس فى الصلاة ، أو الحكم بينهم بكتاب الله وسنة نبيه ، أما كونه جامعا للصدقات أو الجزية فلم يكن ذلك خاصا بمنطقة معينة ، وإنما كانت تصل إليه من كل عمال النبى ﴿ﷺ﴾ فى اليمن حتى يصرفها فى مصارفها الشرعية باعتباره ممثلا لرسول الله ﴿ﷺ﴾ فى اليمن .

وتشير الوصايا العديدة التى أوصى بها النبى ﴿ﷺ﴾ معاذا إلى شمولية عمله كداعية ومعلم وإمام يقتدى الناس به ، ومن هذه الوصايا ماروى عن معاذ أن النبى ﴿ﷺ﴾ وصاه عند بعثه بقوله « يامعاذ أوصيك وصية الأخ الشفيق ، أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء العهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحمة اليتيم ، وحفظ الجار ، وكظم الغيظ ، وخفض الجناح ، وبذل السلام ، ولين الكلام ، ولزوم الإيمان ، والتفقه فى القرآن ، وحب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل ، وأنهاك أن تشتم مسلما ، أو تكذب صادقا ، أو تصدق كاذبا ، أو تعصى إماما عادلا . يامعاذ : اذكر الله عند كل حجر وشجر ، وأحدث مع كل ذنب توبة ، السر بالسر ، والعلانية بالعلانية » وزاد فى رواية « وعد المريض ، وأسرع فى حوائج الأرامل والضعفاء ، وجالس

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ، مرجع سابق ، ص ص٢٤٦-٢٤٧ ، وأيضا الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨.

الفقراء والمساكين ، وأنصف الناس من نفسك ، وقل الحق ولاتأخذك فى الله لومة لائم»[١].

ومن وصايا النبى ﴿ﷺ﴾ لمعاذ رضى الله عنه حين بعثه إلى اليمن « أخلص لدينك يكفيك القليل من العمل»[٢] ، و« اتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن»[٣] ، و« إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»[٤] .

ولعل هذه الوصايا تشير إلى حرص النبى ﴿ﷺ﴾ على أن يبدو معاذ فى عمله كداعية ومعلم فى اليمن في صورة مثلى من الالتزام بتعاليم الإسلام ، والتحلى بأخلاقه ، لأنه قدوة يتأسى الناس به ، ومن ثم لم يفصل النبى ﴿ﷺ﴾ فى هذه الوصايا بين الدعوة والتعليم وسلوك الداعية والمعلم وأخلاقه وحياته الخاصة ، ولذلك تعد هذه الوصايا منهجا لكل داعية إلى الله ، ولكل من يعمل فى نشر دين الله من علماء ومعلمين .

وتفيد الروايات التى جاءت عن الصحابة والتابعين أن معاذا رضى الله عنه فور وصوله إلى اليمن أخذ فى أداء مهمته الأساسية فى مجال الدعوة والتعليم ، فقد روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال « بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعرى إلى اليمن ... فخطب معاذ الناس ، فحثهم على الإسلام والتفقه فى القرآن ... » وروى عن عمرو بن ميمون الأودى قال « قدم معاذ بن جبل ونحن باليمن ، فقال : يا أهل اليمن : أسلموا تسلموا ، إنى رسول رسول الله إليكم ، فوقع فى قلبى حبه فلم أفارقه حتى مات»[٥] .

وكان معاذ رضى الله عنه يحث الناس على طلب العلم فيقول « تعلموا العلم ، فإن

---

(١) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤٠-٢٤١.
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٤.
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص١٠١.
(٤) الإمام أحمد المسند ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣ ، ص ٢٤٤.
(٥) محمد يوسف الكاندهلوي : حياة الصحابة ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص٦٦٣ ، ص٧١٧.

تعلمه لله خشية ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ... العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظلم ... والتفكير فيه يعدل بالصيام ، ومدار سته بالقيام»[١] .

يبدو مماسبق أن مهمة معاذ رضى الله عنه الأساسية باليمن كانت تدور حول الدعوة والتعليم بمفهومهما الواسع الذى ينضوى تحته مهام أخرى فى خدمة الإسلام والمجتمع المسلم وهى مهام وأدوار يقوم بها العلماء والدعاة المسلمون فى كل زمان ومكان اقتداء بأئمة الدعاة والمعلمين من صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ .

أسلوب معاذ فى الدعوة :

كان أسلوب معاذ رضى الله عنه فى مجال الدعوة ونشر الإسلام بين أهل اليمن وتعليمهم كتاب الله وسنة نبيه وفقه الإسلام .. يقوم على أساس التيسير على الناس والرفق بهم وتألفهم حتى يقبلوا على دعوته ويتعلموا منه ، وليس على أساس التعسير والشدة والغلظة التى تنفر الناس من دعوته وعلمه ، وكان معاذ فى ذلك ينفذ وصية رسول الله ﴿ﷺ﴾ له ولأبى موسى الأشعرى حين بعثهما إلى اليمن ورسم لهما الأسلوب السديد فى الدعوة والتعليم فقال «يسرا ولاتعسرا ، وبشرا ولاتنفرا »[٢].

وفَصَّل النبى ﴿ﷺ﴾ لمعاذ خاصة أسلوب التيسير فى الدعوة والتعليم والذى يقوم على مبدأ التدرج فى عرض مبادئ الإسلام وقواعده الأساسية ، حينما علمه صلوات الله وسلامه عليه كيف يعرض الإسلام على أهل اليمن ، فقال « إنك ستأتى قوما من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم ، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله، فإن هم طاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة

---

(١) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٢٣٩.

(٢) صحيح البخارى : جـ٥ ، كتاب المغازى ، باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، ص ص١٠٧-١٠٨ .

وليلة، فإن هم طاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب »(١) .

فالتدرج فى الحديث واضح من بعد التوطئة للوصية بأنه سيدعو أهل كتاب ، أى أهل علم لاتكون مخاطبتهم كمخاطبة الجهال ، ومن ثم أمر الرسول ﴿ﷺ﴾ معاذا بأن يبدأ دعوته بالعقيدة ، فيدعوهم إلى الشهادتين ، لأنهما أصل الدين كله ، وبعد ذلك يدعوهم إلى العبادة الأولى الصلاة وهى عمود الإسلام ، وبعد استجابتهم يعلمهم بالفريضة العملية الثانية شقيقة الصلاة فى القرآن والسنة وهى الزكاة ... وهكذا تكون الدعوة ويكون التعليم فى الإسلام(٢).

واضح أن النبى صلوات الله وسلامه عليه رسم لمعاذ رضى الله عنه الأسلوب السديد فى الدعوة والتعليم والذى يقوم على مبدأ التيسير والتدرج فى عرض رسالة الإسلام ومبادئه ، ويبدو أن معاذا رضى الله عنه سار على النهج الذى رسمه له رسول الله ﴿ﷺ﴾ الأمر الذى جعل تلاميذه فى اليمن يحبونه ويتعلقون به ، حتى أن أحدهم وهو عمرو بن ميمون يبين لنا - كما سبق - كيف أحب أستاذه معاذا من أول درس تلقاه على يديه ولم يفارقه حتى مات .

منهج معاذ :

وضع معاذ بن جبل رضى الله عنه أساسا لمنهج علمى تفرد به ، وأقره عليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ حين بعثه إلى اليمن ، وهذا المنهج سار عليه فقهاء الأمة الإسلامية ، ومازالوا يسيرون عليه ، فى معالجة القضايا الفقهية فى ضوء التشريع الإسلامى .

ويقوم هذا المنهج على ثلاث خطوات أساسية يجب على الفقهاء اتباعها عند معالجة

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٩.

(٢) عبدالبديع عبد العزيز الخولى :« العلم فى الإسلام» ، مجلة التربية ، العدد الثالث والعشرون ، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٢ ، ص٣٧٩.

أي حكم شرعي ، الخطوة الأولى هي البحث عن أصول الحكم في كتاب الله ، لأنه المصدر الأول والأساسي للتشريع الإسلامي ، والخطوة الثانية هي البحث عن الحكم في السنة النبوية الشريفة إذا لم يكن له أصل في القرآن الكريم ، لأن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم ، أما الخطوة الثالثة فهي الاجتهاد بشروطه المقررة من علم المجتهد وأهليته وفهمه لروح الإسلام العامة وعدم مخالفة الأصول المعتمدة في القرآن والسنة .

ويبدو هذا المنهج واضحا فيما أجاب به معاذ رضى الله عنه رسول الله ﴿ﷺ﴾ لما سأله عند بعثه إلى اليمن « كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله ، قال : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : فإن لم يكن فى سنة رسول الله ﴿ﷺ﴾؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو ، قال : فضرب رسول الله ﴿ﷺ﴾ صدرى ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ﴿ﷺ﴾ لما يرضى رسول الله﴿ﷺ﴾[(١)]، وكلمة لا آلو معناها لا أقصر ، وفى هذا إشارة إلى بذل المجتهد لما فى وسعه من تدبر ونظر وتأن ، ولايتسرع فى إصدار الحكم بناء على مجرد الرأى ، أما ضرب رسول الله﴿ﷺ﴾ لصدر معاذ وحمده﴿ﷺ﴾ الله على ماوفق إليه معاذ من هذا المنهج فهو دليل على إقراره له .

والحق أن المنهج الذى وضعه معاذ رضى الله عنه ، وأقره عليه رسول الله﴿ﷺ﴾ هو أصلح المناهج للبحث فى أصول التربية الإسلامية ، لأن التربية كعلم تربوى يقوم على معالجة قضايا التربية من المنظور الإسلامى هى فى الحقيقة ميدان فرعى للتشريع الإسلامى العام ، وإذا كانت معالجة القضايا الفقهية من منظور التشريع الإسلامى تتطلب المرور بخطوات هذا المنهج فلابد للفقيه التربوى عندما يعالج قضايا التربية الإسلامية من أن يسير في خطوات هذا المنهج حتي يحقق المصداقية والتأصيل السليم لما يعالجه من قضايا ومشكلات .

---

(١) الإمام أحمد : المسند ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ ، ص٢٣٦ ، ص٢٤٣.

ثانيا - بعث أبى موسى الأشعرى :

بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ الصحابى الجليل أبا موسى الأشعرى إلى اليمن داعيا ومعلما وواليا مع معاذ بن جبل رضى الله عنهما فى نهاية السنة التاسعة أو بداية السنة العاشرة من الهجرة النبوية كما جاء فى صحيح البخارى (باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، عن أبى بردة قال « بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن ، وقال : وبعث كل واحد منهما على مخلاف ، قال : واليمن مخلافان... »[(١)] .

ويبدو من رواية البخارى أن بعث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه كان إلى جهة من اليمن غير الجهة التى بعث إليها معاذ بن جبل رضى الله عنه ، لأن اليمن كما فى هذه الرواية كانت عند بعث أبى موس ومعاذ مخلافين ، أى منطقتين رئيسيتين ، وكانت الجهة أو المنطقة التى بعث إليها أبو موسى هى المنطقة القريبة من ساحل البحر الأحمر والمتمثلة فى زبيد وعدن وماحولهما[(٢)] ، وهى موطن قبيلته من الأشعريين ، ويؤيد ذلك مارواه الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى موسى نفسه قال « بعثنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى أرض قومى ... »[(٣)] .

ومكث أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه باليمن داعيا ومعلما وواليا ، حتى كانت حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة قدم أبو موسى من اليمن وحج مع رسول الله ﴿ﷺ﴾[(٤)] ، ثم عاد إلى اليمن ، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى مكان عمله بسبب فتنة

---

(١) صحيح البخارى : جـ٥ ، كتاب المغازى ، باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، ص ص١٠٧-١٠٨.

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص٤٠٣ ، وأيضا ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ٤ ، مرجع سابق ، ص ص٢١٢-٢١٣.

(٣) صحيح البخارى : جـ٥ ، كتاب المغازى ، باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، ص١٠٩.

(٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الأسود العنسى الذى ادعى النبوة وانتشرت فتنته فى اليمن كله ، فاضطر أبو موسى إلى الانحياز إلى جهة حضرموت كما فعل معاذ ، لكنه نزل على حى السكاسك مما يلى المفوز والمفازة بينهم وبين مأرب ، فى حين أن نزول معاذ كان على حى السكون(١).

ولما انتهت فتنة الأسود العنسى عاد أبو موسى رضى الله عنه ليواصل عمله كداعية ومعلم ووالى على الجهة التى بعثه رسول الله ﴿ﷺ﴾ إليها ، ويقره الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه على عمله ، لأن النبى ﴿ﷺ﴾ انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد قتل الأسود بثلاثة أيام (٢).

وإذا كان ماروى فى كتب السنة الصحيحة من بعث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه إلى اليمن لايعطى صورة وافية لشخصيته كمعلم وفقيه وداعية ، والمهام التى قام بها فى اليمن سواء فى مجال التعليم والإرشاد أو القضاء والإفتاء ، فسوف نحاول من خلال المصادر التاريخية أن نقدم صورة لشخصيته وما أسنده إليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ من مهام ، حتى يتضح الدور قام به خلال بعثته إلى اليمن .

شخصية أبى موسى الأشعرى كمعلم وفقيه :

لاشك أن أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه صحابى جليل ، له مكانته فى الإسلام وعند رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، ومهما اجتهد الباحث فى تقديم صورة لشخصيته قد لايستطيع أن يفيه حقه ، ولاسيما فى صفحات قليلة ، ولكن عذر الباحث هنا أنه لايؤرخ لحياة أبى موسى وأعماله ، وإنما يحاول أن يبين جانب المعلم والفقيه فى شخصيته ، والذى جعل الرسول ﴿ﷺ﴾ يختاره ليبعث به معلما وفقيها لأهل اليمن ، وتأسيسا عليه يمكن أن نتناول شخصية أبى موسى رضى الله عنه العلمية والفقهية فيما يلي:

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ص٢٢٩-٢٣٠ .
(٢) عبدالحميد محمود طهماز : أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم المجاهد ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٩١ ، ص ص٤١-٤٦ .

١- أن أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه رغم أنه من مواليد مدينة زبيد باليمن(١)، إلا أنه كان من السابقين إلى الإسلام ، لأنه كان يتردد على مكة للعمل والكسب فى أسواقها ومواسمها ، ورغم أن سبقه فى الإسلام يعد أحد مناقبه وفضائله إلا أن هذا السبق مع بيئته التى ولد فيها قد جعلا منه معلما وداعية منذ بداية إسلامه ، فقد انقلب إلى قومه من الأشعريين باليمن يدعوهم إلى الإسلام ويقرئهم ماحفظ من سور القرآن ، حتى هداهم الله على يديه ، وكانوا أول القبائل إسلاما باليمن ، وأول من قدم على رسول الله ﴿ﷺ﴾ منها فى سنة سبع من الهجرة ليتفقهوا فى الدين ويشاركوا فى نشر رسالة الإسلام(٢).

وقد أثنى النبى ﴿ﷺ﴾ على الأشعريين حين قدموا عليه فى أمور كثيرة ، منها رقة افئدتهم ، ولين قلوبهم ، وقوة إيمانهم ، ووقارهم وحكمتهم ، وفقههم وحسن تلاوتهم للقرآن ... وغير ذلك مما روته أحاديث مطولة فى كتب السنة الصحيحة (٣)، ولاشك أن مرجع هذا كله إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أول معلم وداعية للإسلام فى اليمن بما فعله مع قومه من الأشعريين .

٢- كان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه من بين الصحابة الذين لازموا رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، فشهد معه كل المشاهد والغزوات بعد خيبر ولم يفارقه فى حضر ولاسفر(٤) ، ولاشك أن هذه الصحبة والملازمة لرسول الله ﴿ﷺ﴾ - فوق ماتدل عليه من حرص أبى موسى على طلب العلم وشغفه به - قد أكسبته علما غزيرا تلقاه من رسول الله ﴿ﷺ﴾ إما

---

(١) خير الدين الزركلى : الأعلام ، جـ٤ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٥ ، ١٩٨٠ ، ص١١٤.

(٢) أبو تراب الظاهرى : وفود الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص٩٢-٩٣ ، وأيضا عبد الحميد محمود طهماز : أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم المجاهد ، مرجع سابق ، ص ص١٣-١٤ ، ص ص١٨-١٩.

(٣) انظر على سبيل المثال صحيح البخارى : جـ٥ ، كتاب الغزوات ، باب غزوة خيبر ، ص ص١٧٩-١٨١.

(٤) عبد الحميد محمود طهماز : أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم المجاهد ، مرجع سابق ، ص ص٢٤-٢٥.

بطريقة عملية مما شاهده من أحوال النبى ﴿ﷺ﴾ ، وإما بطريقة مقصودة حيث كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يخصه أحيانا بالتعليم ، فقد روى الإمام البخارى فى صحيحه - على سبيل المثال - أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال « ياعبد الله بن قيس(١) : ألا أعلمك كلمة هى من كنوز الجنة : لاحول ولاقوة إلا بالله »(٢) .

ومن ثم كان أبو موسى رضى الله عنه من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ، وقد وردت مرويات عديدة عن الصحابة والتابعين تفيد مبلغ أبى موسى فى مجال العلم والفقه فى العهد النبوى ، وأنه كان واحدا من ستة من الصحابة يؤخذ عنهم العلم ، يقول أبو البخترى « سألنا على بن أبى طالب عن أبى موسى ، فقال : صبغ فى العلم صبغة ثم خرج » ويقول الشعبى « كان العلم يؤخذ عن ستة : عمر وعلى وأبى بن كعب وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبى موسى »(٣) ، رضى الله عنهم أجمعين .

ولاشك أن علم أبى موسى رضى الله عنه وفقهه قد هيأه لدوره الذى قام به كمعلم وفقيه سواء فى العهد النبوى مبعوثا من رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى اليمن ، أو فى حياة الخلفاء الراشدين كمبعوث فى البصرة والكوفة .

٣- أن أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه إلى جانب علمه وفقهه كان أحد كبار حفاظ القرآن الكريم من الصحابة ، تلقاه من رسول الله ﴿ﷺ﴾ مباشرة ، وسمع النبى ﴿ﷺ﴾ قراءته أكثر من مرة وأقره عليها(٤) ، وكان فوق حفظه لكتاب الله أحسن الصحابة صوتا فى تلاوة القرآن ، فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى ﴿ﷺ﴾ سمعه وهو يقرأ القرآن فقال له « يا أبا موسى : لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود »(٥)، يعنى

---

(١) عبد الله بن قيس هو اسم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه .

(٢) صحيح البخارى ، جـ١ ، كتاب القدر ، باب لاحول ولاقوة إلا بالله ، ص٢١٣ .

(٣) الحافظ الذهبى : تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، مرجع سابق ، ص٢٤.

(٤) عبد الحميد محمود طهماز : أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم المجاهد ، مرجع سابق ، ص ص١٢٤-١٢٦.

(٥) صحيح البخارى ، جـ٦ ، كتاب فضائل القرآن ، باب حسن الصوت بالقراءة ، ص١١٢ .

صلوات الله وسلامه عليه أن أبا موسى فى حسن تلاوته للقرآن الكريم بصوته الندى قد أوتى جزءا من جمال صوت داود عليه السلام فى قراءته للزبور .

ولعل حفظ أبى موسى رضى الله عنه للقرآن الكريم وثناء الرسول ﴿ﷺ﴾ على تلاوته قد هيأه لأن يكون من الصحابة القراء ، ويقوم بدور بارز فى تعليم كتاب الله ، الأمر الذى رشحه عند رسول الله ﴿ﷺ﴾ ليبعث به إلى اليمن ، حيث كان إقراء الناس القرآن أحد المهام الأساسية لمبعوثيه عليه الصلاة والسلام .

٤- كان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه أحد كبار الصحابة البارزين فى مجال القضاء والإفتاء فى حياة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وبعده ، وقد عده التابعون واحدا من أربعة من الصحابة طارت شهرتهم فى مجال القضاء والفتوى ، يقول الشعبى « قضاة الأمة أربعة : عمر وعلى وزيد بن ثابت وأبو موسي » ويقول صفوان بن سليم « لم يكن يفتى فى زمن النبى ﴿ﷺ﴾ غير عمر وعلى ومعاذ وأبى موسي »[١] .

ولعل بروز أبى موسى فى مجال القضاء والإفتاء مع تتطلبه مهمة القضاء والفتوى من العلم بالكتاب والسنة وأحكام الفقه الإسلامى كان أحد الأسباب التى رشحته عند رسول الله ﴿ﷺ﴾ لكى يبعث به إلى اليمن ، خاصه وأن القضاء والفتوى كانا أحد مهامه التى قام بها فى اليمن كما سيرد فيما بعد .

٥- كان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه مع ماعرف عنه من العلم بكتاب الله وسنة رسوله وفقه الإسلام وأحكامه .. يتميز بكثير من الصفات الشخصية التى ترشحه كمعلم وداعية أو قاضى ومفتى ، فقد روى المؤرخون من صفاته أنه كان يتسم بكثرة العبادة وقراءة القرآن ، والورع ، والحياء ، وعزة النفس وعفتها ، والزهد فى الدنيا ، والثبات على المبدأ ، فقد قال عنه الحافظ الذهبى بعد أن ذكره فى الطبقة الأولى من علماء الصحابة « كان عالما ، عاملا ، صالحا ، تاليا لكتاب الله ، إليه المنتهى فى حسن الصوت

---

(١) الحافظ الذهبى : تذكرة الحفاظ ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٢٤.

بالقرآن ، روى علما طيبا مباركا ، وأقرأ القرآن»[١] ، وقال عنه أبو نعيم فى الحلية « أبو موسى الأشعرى ، العامل ، المعلم ، صاحب القراءة والمزمار ، الرابض نفسه بالسياحة فى المضمار... كان بالأحكام والأقضية عالما ... وبقراءة القرآن فى الحنادس مترنما وقائما »[٢].

يبدو مماسبق أن شخصية أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه كانت تجمع بين العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ والدراية التامة بأحكام الشريعة الإسلامية ، إلى جانب صفاته الشخصية ، وكل هذه المقومات شكلت شخصيته كمقرئ للقرآن ، ومعلم وفقيه ، مارس القضاء والفتوى فى زمنه صلوات الله وسلامه عليه ، الأمر الذى جعل رسول الله ﴿ﷺ﴾ يستعين به فى القيام بهذه المهام فى بعض بلدان اليمن وقبائلها .

مهام أبى موسى الأشعرى فى اليمن :

يبدو أن المهام التى أسندها رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى أبى موسى الأشعرى حين بعثه إلى اليمن كانت مهام متعددة شأنه شأن معاذ بن جبل رضى الله عنهما ، ويمكن بيان هذه المهام باختصار فيما يلى :

١- إقراء القرآن الكريم لمسلمى اليمن فى الجهة التى بعث إليها ، لاسيما وهو أحد الصحابة القراء ، والمعروف بدقة القراءة ، وحسن الصوت فى التلاوة ، يروى أبو نعيم فى الحلية أن النبى ﴿ﷺ﴾ حين بعث أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن « أمرهما أن يعلما الناس القرآن»[٣] ، ومن ثم يعد دور أبى موسى فى إقراء القرآن الكريم وتعليمه أحد أدواره ومهامه الأساسية التى قام بها فى اليمن .

٢- تعليم الناس سنة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهديه ، وخاصة أن المبعوث كان قدوته والنموذج

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣.
(٢) أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٢٥٦.
(٣) المرجع السابق ، ص٢٥٦ .

الذى يتأسى به فى عمله هو رسول الله﴿ﷺ﴾ ، ومن ثم فهو يعلم السنة عمليا بالإقتداء والتأسى ، ويعلمها فى دروسه بالرواية والتحديث ، وأبو موسى الأشعرى رضى الله عنه بماله من صحبة وملازمة لرسول الله ﴿ﷺ﴾ كان يعلم السنة لأهل اليمن من خلال تمسكه وممارسته لها إلى جانب مارواه من الأحاديث ، وقد ذكره الحافظ الذهبى فى الطبقة الأولى من حفاظ الحديث وحملة العلم النبوى من الصحابة ، وذكر العديد من تلاميذه الذين أخذوا منه ورووا عنه[١] .

٣- القضاء والإفتاء ، وقد استدل صاحب نظام الحكومة من تولى أبى موسى لمهمة القضاء والإفتاء باليمن على أنه كان أحد قضاته صلوات الله وسلامه عليه وممن يفتون فى عهده ، فقال « ولى النبى ﴿ﷺ﴾ أبا موسى الأشعرى على اليمن جامعا للصدقات وقاضيا ، وكان يقضى ويفتى فى حياة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وفى زمنه ، وفى حياة الخلفاء الراشدين »[٢] .

ويبدو أن أبا موسى رضى الله عنه كان يدرك عظم مهمته فى مجال القضاء والفتوى ، ولذلك كان حريصا على أن يسأل رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن حكم الإسلام فى بعض الأشربة التى كانت تُصنع فى اليمن ، يروى البخارى فى صحيحه أن أبا موسى عند بعثه إلى اليمن قال « يانبى الله ، إن أرضنا بها شراب من الشعير المِزْر وشراب من العسل البِتْع ، فقال : كل مسكر حرام »[٣] .

٤- الولاية أو العمالة ، حيث كان من مهام المبعوث أن يراقب إقامة الشعائر الدينية ويؤم الناس فى الصلاة ويجمع الزكاة والصدقات حتى يتم صرفها فى مصارفها الشرعية ، وكان أبو موسى رضى الله عنه يسلك فى القيام بمهامه كمعلم وداعية باليمن

---

(١) الحافظ الذهبى : تذكرة الحفاظ ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٢٣.

(٢) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٢٥٩.

(٣) صحيح البخارى ، جـ٥ ، كتاب المغازى ، باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، ص١٠٨ .

أسلوبا سهلا يحقق إقبال الناس عليه والاستفادة من علمه وفقهه ، تحقيقا للهدف الذى أرسل من أجله ، وتنفيذا لوصية رسول الله ﴿ﷺ﴾ الذى قال له حين بعثه مع معاذ بن جبل « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولاتنفرا »[١] ، ومن ثم كان الناس يجتمعون على أبى موسى باليمن يقرأون عليه ويتعلمون منه ، وليس أدل على ذلك مما رواه البخارى فى صحيحه أن معاذا لما قصد زيارة أبى موسى فى مقر إقامته باليمن « انتهى إليه وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس »[٢] .

يبدو مماسبق أن أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه قد قام فى اليمن بدور المعلم لكتاب الله وسنة رسوله ، ودور الفقيه الذى يبصر الناس بأحكام الإسلام ومنهجه فى التشريع ، سواء بتعليم الناس فقه الإسلام ، أو بإفتائهم فيما يتعرضون له من مسائل وأحكام ، أو بالقضاء بينهم فيما يرد عليه من حوادث وقضايا ، وذلك بالأسلوب الإسلامى الذى يقوم على اللين واليسر والسماحة لا على الشدة والغلظة والتنفير .

ثالثا - بعث على بن أبى طالب وخالد بن الوليد :

فى السنة العاشرة من الهجرة النبوية وقبل حجة الوداع بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ خالد ابن الوليد داعيا لبعض أهل اليمن ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام دون قتال ، فمكث خالد ستة أشهر يدعوهم فلم يجيبوه ، فبعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ مكانه على بن أبى طالب فى شهر رمضان من نفس السنة ومعه كتاب لأهل اليمن ، فلما قدم على عليهم خرجوا إليه مقاتلين ، لكن عليا دعاهم إلى الإسلام ، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، فكتب على إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ بإسلامهم ، فلما قرأ رسول الله ﴿ﷺ﴾ الكتاب سجد شكرا لله تعالى ، ثم قال : السلام على همدان ثلاث

---

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٢) المرجع السابق ، نفس الحديث .

مرات ، وتتابع أهل اليمن إلى الإسلام (١).

ومكث على بن أبى طالب رضى الله عنه يدعو إلى الله ويجمع الصدقات باليمن حتى إذا أنهى مهمته وتجهز للرجوع إلى المدينة حان موسم الحج ، فَأَمَّرَ على من معه رجلا منهم، ولحق برسول الله ﴿ﷺ﴾ فى حجة الوداع ، ولما أتم حجه أمره رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالعودة إلى أصحابه ، فعاد إليهم وأدركهم فى الطريق ، فصاحبهم حتى قدموا المدينة(٢).

وقد بوب الإمام البخارى فى صحيحه بابا بعنوان « بعث على بن أبى طالب وخالد بن الوليد رضى الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع » وروى فيه عدة أحاديث تبين ماكان من بعث على وخالد إلى اليمن ، ومهمة على فى الدعوة وجمع الصدقة ، ولحوقه برسول ﴿ﷺ﴾ فى حجة الوداع(٣) ، ومن ذلك مارواه البخارى عن البراء رضى الله عنه قال « بعثنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ مع خالد بن الوليد إلى اليمن ، قال : ثم بعث عليا مكانه ، فقال : مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يُعَقِّب فليعقب ، ومن شاء فَلْيُقْبِل ، فكنت فيمن عقب معه ... »(٤) .

ويبدو أنه كان من بين المهام التى كلف بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ على بن أبى طالب رضى الله عنه حين بعثه إلى اليمن مهمة القضاء ، حيث وردت روايات عديدة تفيد أن عليا شكا إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾صعوبة القضاء حين بعثه إلى اليمن ، فرسم له رسول الله ﴿ﷺ﴾ المنهج السديد فى القضاء ، ثم ضرب صدره ودعا له بثبات اللسان وهداية القلب ،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص ص١٠٤-١٠٥ ، وأيضا ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص٣٠٠ ، وأيضا الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ص١٣١-١٣٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ، مرجع سابق ، ص ص٢٤٩-٢٥٠ ، وأيضا ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص ص١٠٥-١٠٦ .

(٣) صحيح البخارى : جـ٥ ، كتاب المغازى ، باب بعث على بن أبى طالب وخالد بن الوليد قبل حجة الوداع ، ص ص١١٠-١١١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٠ .

ويروى ذلك البيهقى فى سننه بروايات متعددة ، منها ماقاله على رضى الله عنه « بعثنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ قاضيا ، يعني إلى اليمن ، فقلت : يارسول الله : إنى شاب وتبعثنى إلى قوم ذوى أسنان ، قال : فدعا لى بدعوات ، ثم قال : إذا أتاك الخصمان فسمعت من أحدهما فلاتقضين حتى تسمع من الآخر ، فإنه أثبت لك » وفى رواية أخرى « فضرب يده فى صدرى وقال : إن الله سيثبت لسانك ويهدى قلبك ، فما أعيانى قضاء بين اثنين »(١).

ولما كانت مهمة القضاء قد أخذت منهجا جديدا فى ظل الإسلام يقوم على تكييف مايقع بين الناس من حوادث وقضايا فى ضوء فقه الإسلام ومنهجه فى التشريع فلاشك أنها مهمة علمية فقهية قبل أن تكون وظيفة من وظائف الحكم ، ولذلك كان النبى ﴿ﷺ﴾ يختار لها من بين أصحابه من له مقدرة خاصة فى مجال العلم والفقه ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه كصحابى جليل تربى فى بيت النبوة ليس فى حاجة إلى بيان مقومات شخصيته كمعلم وفقيه ، والتى جعلت الرسول ﴿ﷺ﴾ يختاره للدعوة والقضاء باليمن ، فهو رضى الله عنه قاضى الأمة بلامنازع وبابها فى العلم بلامدافع .

ويكفى إشارة لدور على رضى الله عنه كفقيه وقاضى باليمن ما أوردته كتب التاريخ الإسلامى من القضايا الفقهية التى اجتهد فيها ، والتى أقر فيها رسول الله ﴿ﷺ﴾ اجتهاده (٢)، كما يكفى إشارة إلى دور على كداعية باليمن مامر ذكره من إسلام همدان جميعها على يديه فى يوم واحد .

---

(١) الإمام البيهقى : السنن الكبرى ، جـ١٠ ، كتاب آداب القاضى ، بيروت ، دار الفكر ، (د.ت) ، ص٨٦ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص ص١٠٧-١٠٨ .

المبحث الثالث
بعوث المعلمين إلى نجران

تعد (نجران) إحدى البلدان العربية ، وتقع بين هجر (الإحساء) والشام واليمن ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى (نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان) أول من نزلها وعمرها ، وكانت نجران قبل الإسلام تضم العديد من القرى والبلدان ، ولكنها كانت بمثابة القرية العظيمة التى إليها إجماع تلك القرى والبلدان [(١)].

ويبدو أن نجران قبل الإسلام كانت إحدى مدن اليمن ، كما ذكر ذلك ياقوت الحموى فى معجم البلدان ، حيث يقول « ونجران من مخاليف (أى مدن) اليمن من ناحية مكة » ثم يقول « وكان يقال لها نجران اليمن »[(٢)] ، ولعل مما يؤيد ذلك - كما سيرد فيما بعد- أن بعوث المعلمين التى كان يبعث بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى نجران ترد فى كتب السنة والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامى بين بعوث المعلمين إلى اليمن ، كما أن الكتب التى كان يبعث بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ لأهل نجران ترد بين كتبه صلوات الله وسلامه عليه لأهل اليمن ، على اعتبار أن نجران كانت مدينة يمنية .

وقد خالفت نجران القبائل والبلدان فى شبه الجزيرة العربية والتى كان سكانها أهل شرك يعبدون الأصنام ، حيث انتشرت بها المسيحية فى العصر الجاهلى كما روى المؤرخون عن طريق رجل نصرانى من أهل الشام هاجر إلى نجران ، وقد بلغ من شدة تمسك أهل اليمن بالنصرانية التى اعتنقوها أن ملكهم لما أمرهم بالرجوع عنها أبوا ذلك ، فحفر لهم أخدودا عظيما ، وألقى فيه الحطب والنار ، وأخذ يلقى بهم فيه ، وتعرف قصتهم هذه فى القرآن الكريم بقصة أصحاب الأخدود والتى ورد ذكرها فى سورة البروج [(٣)].

وبالغ أهل نجران فى شدة تمسكهم بالنصرانية ، فبنوا كعبة وعظموها مضاهاة للكعبة

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٥ ، مرجع سابق ، ص٢٦٦.
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ، ص٢٧٠.
(٣) المرجع السابق ، ص٢٦٦ - ص ٢٦٨ .

فى مكة ، وسموها كعبة نجران ، وكان فيها أساقفة ورهبان ويقال إنها كانت لرجل يسمى عبد المسيح بن دارس ، لأنه كان أول من سكن نجران من بنى الحارث بن كعب[(١)].

لعله يتضح مماسبق أن الباحث قد أفرد لبعوث المعلمين من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى نجران مبحثا خاصا لسببين :

السبب الأول : أن نجران قبل الإسلام شهدت متغيرا لم يكن مألوفا بين العرب ، وهو اعتناق أهلها للمسيحية فى الوقت الذى كانت تشيع فيه الوثنية بين القبائل والبلدان العربية ، ولعل هذا المتغير سوف يبدو أثره - فيما بعد- فى علاقة نجران بالإسلام ، حيث كان المرجع الأول والأخير فى الشئون الدينية إلى أساقفة الكنيسة .

السبب الثانى : أن نجران مع ما أشارت إليه المصادر التاريخية من أنها كانت مدينة يمنية إلا أنه كان لها بعوثها الخاصة من المعلمين والولاة من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، مما يوحي بشبه استقلالها وتبعية كثير من البلدان والقرى لها ، ولاسيما من كان يعتنق النصرانية من أهل تلك القرى والبلدان .

وقبل أن نتناول موقف أهل نجران من الإسلام ودعوة الرسول ﴿ﷺ﴾ وجهود المعلمين من أصحابه الذين بعث بهم إليها ، وماحملوه من كتب ووصايا ، يمكن بداية أن نقسم هذه البعوث إلى ثلاثة بعوث أساسية حسب الترتيب التاريخى لهذه البعوث :

الأول - بعث الرسول ﴿ﷺ﴾ لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه معلما وقاضيا مع أول وفد قدم عليه من أهل نجران فى السنة التاسعة من الهجرة النبوية .

الثانى - بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه داعيا ومعلما إلى بنى الحارث بن كعب فى السنة العاشرة من الهجرة النبوية .

الثالث : بعث عمرو بن حزم الأنصارى رضى الله عنه معلما وفقيها بعد قدوم وفد بنى الحارث بن كعب مع خالد بن الوليد فى السنة العاشرة من الهجرة النبوية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ص ٢٦٨-٢٦٩

اولا - بعث ابى عبيدة معلما وقاضيا :

يرجع تاريخ بعث أبى عبيدة رضى الله عنه إلى نجران كما ذكرت معظم كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى إلى السنة التاسعة من الهجرة النبوية ، حيث قدم أول وفد منهم على رسول الله «ﷺ»، وكان رسول الله «ﷺ» قد بعث إلى أسقف نجران كتابا يدعوهم فيه إلى الإسلام ، فإن أبوا فالجزية أو الحرب ، فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأة فُظِعَ به وذُعِرَ ذُعْرَاً شديدا وأمر بالناقوس فضرب به ، ورفعت النيران والمسوح فى الصوامع ، كما كان يفعل النصارى عند حدوث أمر عظيم ، فاجتمع إليه أهل الوادى أعلاه وأسفله ، وطول الوادى مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية ، وعشرون ومئة ألف مقاتل، فقرأ عليهم كتاب رسول الله «ﷺ» ، وسألهم عن الرأى ، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا وفدا منهم إلى رسول الله «ﷺ»(١) .

ولعله من خلال ماورد فى الصحيحين البخارى ومسلم يمكن أن نقرر ماكان من أمر وفد نصارى نجران وبعث أبى عبيدة رضى الله عنه بعيدا عن الروايات التاريخية التى تتفاوت زيادة ونقصا ، حيث يروى الإمام البخارى ، باب قصة أهل نجران ، عن حذيفة قال « جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله «ﷺ» يريدا أن يلاعناه »(٢)، قال : فقال أحدهما لصاحبه لاتفعل ، فو الله لئن كان نبيا فلاعنا لانفلح نحن ولاعقبنا من بعدنا ، قالا :إنا نعطيك ماسألتنا ، وابعث معنا رجلا أمينا ، ولاتبعث معنا إلا أمينا ، فقال : لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله «ﷺ» فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله «ﷺ» : هذ أمين هذه الأمة »(٣) .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص ص٢٢٢-٢٣٣ ، وأيضا ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص ص٥٢-٥٦ ، وأيضا أبو تراب الظاهرى : وفود الإسلام ، مرجع سابق ، ص ص٤٩-٥٩.

(٢) الملاعنة هى أن يلعن كل واحد منهما الآخر إن كان كاذبا ، كما جاء فى قوله تعالى « ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» سورة آل عمران ، آية ٦١.

(٣) صحيح البخارى : جـ٥ ، كتاب المغازى ، باب قصة أهل نجران ، ص١٢٠.

ويروى الإمام مسلم فى باب فضائل أبى عبيدة رضى الله عنه ، عن أنس « أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقالوا : ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام ، قال: فأخذ بيد أبى عبيدة ، فقال : هذا أمين هذه الأمة »(١) .

ويمكن من خلال روايتى البخارى ومسلم فى الصحيحين التوصل إلى مايلى :

١- أن رواية الإمام البخارى تشير إلى أن وفد نصارى نجران لم يقبل الإسلام ، وإنما أقر بالجزية ، وبناء عليه يكون بعث أبى عبيدة لقبض مال الصلح ، والقضاء بينهم فى بعض المسائل المالية حسب طلبهم ، ويؤكد ذلك ماروى عن ابن هشام من أن وفد نصارى نجران عند مغادرتهم المدينة قالوا لرسول الله « يا أبا القاسم ، قد رأينا أن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضا ...فقال (أى النبى ﴿ﷺ﴾ لأبى عبيدة: اخرج معهم فاقضى بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه »(٢) ، فكان بعث أبى عبيدة للقضاء وتسلم الأموال التى تم الصلح عليها بينهم وبين رسول الله﴿ﷺ﴾ .

٢- أن رواية الإمام مسلم تشير إلى أن وفد نجران قد أسلم ، على أساس أن نجران فى هذه الرواية هى إحدى بلاد اليمن ، وأن بعث أبى عبيدة كان لتعليم أهل نجران سنة رسول الله ﴿ﷺ﴾ ومبادئ الإسلام وأحكامه ، وهو الأمر الذى لم تعززه كتب السيرة النبوية أو التاريخ الإسلامى ، اللهم إلا إذا كان المقصود ببعث أبى عبيدة فى هذه الرواية بعثا آخر إلى اليمن غير بعثه مع وفد نصارى نجران ، وهو أمر لم يقف له الباحث على أثر فى كتب السيرة النبوية أو التاريخ الإسلامى أو حتى الكتب التى أَرَّخَت لحياة أبى عبيدة رضى الله عنه .

---

(١) الإمام مسلم : الجامع الصحيح ، جـ٧ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبى عبيدة رضى الله عنه ، ص١٢٩.

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص٢٣٣ .

٣- أن اختيار الرسول «ﷺ» لأبى عبيدة من بين أصحابه فيه تزكية لأبى عبيدة ، وبيان لمكانته فى الإسلام وعند رسول الله «ﷺ» ، الأمر الذى غَبَطَهُ عليه بقيه الصحابة ، وتمنى كل واحد منهم أن يكون صاحب هذا الشرف .

٤- أن شهادة الرسول «ﷺ» أمام أصحابه لأبى عبيدة بأنه (أمين الأمة) له مغزى تربوى هام ، وهو الكشف عن المردود النفسى والاجتماعى لاستخدام أسلوب الثواب فى عملية التربية ، حيث إن ثناء الرسول «ﷺ» على أبى عبيدة فى أمانته يعد بمثابة شهادة تقدير أو وسام رفيع من المعلم الأول صلوات الله وسلامه عليه لتلميذ نجيب فى مدرسته ، وبهذا النهج التربوى فليتأس المعلمون المسلمون .

٥- أن أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه على الرغم من أنه كان من القادة البارزين فى مجال الحرب فى العهد النبوى ، إلا أنه كان فى نفس الوقت معلما متمرسا له بالتعليم مهارة خاصة زكاها فيه المعلم الأول «ﷺ» ، فقد روى عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال « لقيت رسول الله «ﷺ» فقلت يارسول الله : ادفعنى إلى رجل حسن التعليم، فدفعنى إلى أبى عبيدة بن الجراح ، ثم قال : دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك »[(١)] .

ولعل شهرة أبى عبيدة كمعلم بصفة عامة ومعلم للقرآن الكريم بصفة خاصة جعلت الذين يرصدون حركة التعليم فى العهد النبوى يضعونه فى قائمة معلمى القرآن الكريم بالمدينة المنورة فى حياة النبى «ﷺ» ، هذا علاوة على ذكره بين من بعثه النبى «ﷺ» من المعلمين إلى الجهات يعلم الناس القرآن ويفقههم فى الدين ، وذلك لما كان من بعث النبى «ﷺ» له إلى نجران[(٢)] .

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لم تورد شيئا بشأن الدور الذى قام به أبو

---

(١) المتقى الهندى (علاء الدين على بن حسام) : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، جـ١٢ ، تحقيق بكرى حيانى وصفوة السقا ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٩ ، فضائل أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه ، ص٦١٥ .

(٢) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص ص٤٠-٤٣ .

عبيدة في نجران سواء في مجال التعليم أو القضاء إلا أن مجرد اختياره فيه دلالة على أن قادة الفتوح الإسلامية من الصحابة كأبي عبيدة لم يكونوا قادة في مجال الحرب فقط ، وإنما كانوا علماء معلمين ، ورسل تربية ، وأعلام فكر ، وبناة حضارة .

ثانيا - بعث خالد بن الوليد داعيا ومعلما :

في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأول من السنة العاشرة من الهجرة بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وعلى غير العادة فلم تكن مهمة خالد في هذا البعث حربية قتالية ، وإنما كانت للدعوة والتعليم ، فقد أمر رسول الله ﴿ﷺ﴾ خالدا ألا يحارب القوم أو يقاتلهم ، وإنما يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ثلاثة أيام ، فإن استجابوا لدعوته وأسلموا ، مكث فيهم يعلمهم القرآن الكريم وسنة النبي ﴿ﷺ﴾ وتعاليم الإسلام ، وسار خالد حتى بلغ نجران ، وجعل يدعو إلى الإسلام ويبشر به في كل جهة من جهات بني الحارث بن كعب قائلا « أيها الناس : أسلموا تسلموا » أي استجيبوا لدعوة الله ورسوله وادخلوا في الإسلام تنالوا الأمن والسلام ، فاستجابوا لدعوة الله ودخلوا في الإسلام ، وأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنه نبيه ﴿ﷺ﴾ (١).

وكتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ كتابا يخبره فيه بأنه قام بمهمته في دعوة بني الحارث بن كعب حتى هداهم الله على يديه إلى الإسلام ، وأنه مقيم فيهم يعلمهم الكتاب والسنة حتى تأتيه تعليمات جديدة ، يقول خالد في كتابه « بسم الله الرحمن الرحيم : لمحمد النبي رسول الله ﴿ﷺ﴾ من خالد بن الوليد ، السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، يارسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم ، وإني قدمت

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩.

عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، وبعثت فيهم ركبانا قالوا -: يابنى الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، آمرهم بما أمرهم الله به ، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى ﴿ﷺ﴾ حتى يكتب إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ والسلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته»(١) .

ولما وصل كتاب خالد إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ كتب إليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ كتابا جاء فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبى رسول الله إلى خالد بن الوليد ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لاإله إلا هو ، أما بعد ، فإن كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى مادعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»(٢) .

ورجع خالد بن الوليد إلى المدينة المنورة فى شوال من السنة العاشرة من الهجرة النبوية (٣)، ومعه وفد بنى الحارث بن كعب بعد أن قام فيهم مايقرب من سته أشهر معلما إياهم القرآن وشرائع الإسلام وسنة خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، بعد أن هداهم الله على يديه للإيمان .

والمتأمل فى بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى بنى الحارث بن كعب بنجران داعيا ومعلما يمكن أن يصل إلى النتائج التالية :

١- أن خالد بن الوليد رضى الله عنه على الرغم من أنه كان من أبرز قادة الجند فى العهد النبوى ، إلا أن نشاطه لم يقتصر على ميدان الجهاد ، بل قام بواجب الداعية إلى الله، والناشر لدينه ، والمعلم لكتابه وسنة نبيه ﴿ﷺ﴾ شأن غيره من قادة الجند البارزين فى العهد النبوى كأبى عبيدة بن الجراح وعلى بن أبى طالب ...وغيرهم ، وهذا فيه رد

---

(١) المرجع السابق ص ص٢٣٩-٢٤٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٠.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٩٣ .

بالغ على هؤلاء المستشرقين وأذنابهم من الباحثين الشرقيين الذين لايرون فى بعض أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلا قادة للجند وعباقرة للفتوح الإسلامية ، ومن ثم ففيما قام به خالد وغيره من الصحابة المجاهدين من أدوار فى الدعوة والتعليم دلالة كافية على أنهم لم يكونوا فقط قادة للجيوش الإسلامية المجاهدة ، وإنما كانوا أئمة دعوة ، ورسل تربية وتعليم ، ونماذج صالحة فى بناء الحضارة الإنسانية على القيم والمثل العليا التى تتطلع إليها البشرية فى كل زمان ومكان .

٢- أن مافعله خالد بن الوليد رضى الله عنه بناءا على تعليمات رسول الله ﴿ﷺ﴾ من دعوة بنى الحارث بن كعب إلى الإسلام حتى هداهم الله على يديه دون قتال ، دليل قاطع على أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف ، كما يزعم بعض المستشرقين ، وإنما انتشر بالجهود الصادقة للدعاة والمعلمين من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ .

٣- أن منهج الدعاة والمعلمين من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا بعثوا لقوم من أهل الشرك كان يمر بمرحلتين تكمل كل منهما الأخرى ، أما المرحلة الأولى فتبدأ بدعوة هؤلاء المشركين إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، عملا بقول الله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »(١) ، وتأسيا بالنهج العملى لرسول الله ﴿ﷺ﴾ فى الدعوة إلى الله باللين والرفق والصبر على المدعوين ، فإذا هدى الله بدعوتهم القوم إلى الإسلام تبدأ المرحلة الثانية وهى تعليم إخوانهم من حديثى العهد بالإسلام شريعة الله وكتابه وسنة نبيه ﴿ﷺ﴾ ، ومن ثم يمكن القول أن عمل المبعوث من الصحابة كان يبدأ بدور الداعية وينتهى بدور المربى والمعلم .

ثالثا- بعث عمرو بن حزم الانصارى معلما وفقيها :

سبق أن ذكرنا أن وفد بنى الحارث بن كعب قدموا على رسول الله ﴿ﷺ﴾ مع خالد ابن الوليد فى شهر شوال من السنة العاشرة للهجرة النبوية ، ومكثوا يتعلمون من رسول

---

(١) سورة النحل ، آية ١٢٥.

الله «ﷺ» ومن أصحابه بالمدينة حتى كان آخر شوال أو صدر ذى القعدة فرجعوا إلى قومهم، وكان رسول الله «ﷺ» بعد أن ولى وفدهم بعث إليهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ، ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له رسول الله «ﷺ» كتابا عهد له فيه عهده وأمره فيه بأمره (١).

وقد جاء كتاب رسول الله «ﷺ» الذى بعث به إلى بنى الحارث بن كعب مع عمرو بن حزم كما نقله ابن هشام عن ابن اسحاق مانصه « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا بيان من الله ورسوله : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فى الدين ، وينهى الناس ، فلايمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه فقال « ألا لعنة الله على الظالمين » ويبشر بالجنة ويعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ، وينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه ، وينهى الناس أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لاشريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لاشريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برؤسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويغلس بالصبح ، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مدبرة ، والمغرب حتى يقبل الليل ، لايؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ، مرجع سابق ، ص٢٤١ .

بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله ، وماكتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ماسقت العين وسقت السماء ، وعلى ماسقى الغرب نصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ماعليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته لايرد عنها ، وعلى كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف أو عوضه ثيابا ، فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»(١) .

ومن خلال التأمل فى بعث عمرو بن حزم رضى الله عنه معلما وفقيها لبنى الحارث بن كعب ، وتحليل كتاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ الذى بعثه به يمكن التوصل إلى مايلى :

١- أن اختيار رسول الله ﴿ﷺ﴾ لعمرو بن حزم الأنصاري(٢) ليبعث به معلما وفقيها لأهل نجران فيه اعتداد بعنصر الشباب والتعويل على حيويته ونشاطه فى مجال الدعوة والتعليم ، فقد كان عمرو بن حزم فى تمام العشرين من عمره حين بعثه رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى نجران حيث يروى ابن هشام أن الرسول ﴿ﷺ﴾ أجاز عمرو بن حزم للاشتراك فى غزوة الخندق وعمره خمس عشرة سنة ، وكان قد رده يوم أحد لأن عمره كان دونها ، وإذا كانت غزوة الخندق قد وقعت فى شهر شوال سنة خمس من الهجرة (٣)وإرساله إلى نجران كان فى نفس شهر شوال من السنة العاشرة للهجرة ، فيكون إرساله كمعلم وفقيه لأهل نجران فى تمام العشرين .

---

(١) المرجع السابق ، ص ص٢٤١-٢٤٣ .

(٢) انظر ترجمة عمرو بن حزم فى خير الدين الزركلى : الأعلام ، مرجع سابق ، جـ٥ ، ص٧٦ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص٧٠ ، ص٢٢٤ .

وليس غريبا أن يعتد الرسول ﴿ﷺ﴾ بشباب الصحابة من المهاجرين والأنصار كعمرو بن حزم فى أمور قيادية خاصة بالجهاد أو التربية والتعليم أو القضاء ، فقد كانت نشأتهم الأولى فى ظل الإسلام وفى المدينة المنورة المركز الأساسى للدعوة والتعليم ومقر إقامة الرسول ﴿ﷺ﴾ ومجمع كبار الصحابة من مهاجرين وأنصار ، هذا إضافة إلى حيوية هؤلاء الشباب واستعدادهم للتضحية بأنفسهم فى سبيل الإسلام والدعوة ، وليس بخاف على أحد أن الأمة الإسلامية لو حذت حذو نبيها ﴿ﷺ﴾ فى الاهتمام بشبابها واستغلال طاقتهم المهدرة وأوقاتهم الضائعة لفاقت من كبوتها ، ونهضت من عثرتها ، وعزت من ذلها ومهانتها بين الأمم .

٢- أن الكتب التى كان يبعث بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ مع الدعاة والمعلمين من أصحابه كانت بمثابة مصادر أو وسائل تعليمية تحمل منهجا تربويا (بيان من الله ورسوله) يسير عليه الداعية أو المعلم المبعوث فى عرض رسالة الإسلام ومايتصل بها من علم وفقه ، وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يأخذ على المبعوث عقدا أو عهدا باتباع هذا المنهج علما وعملا أمرا ونهيا ، نهجا وسلوكا .

٣- أن الكتاب الذى نحن بصدده يحدد مهمة عمرو بن حزم فى تفقيه الناس فى أمور الدين ، وهى مرحلة ثالثة تلت ماقام به خالد بن الوليد فى بنى الحارث بن كعب ، فبعد أن دعاهم خالد إلى الإسلام وآمنوا وعلمهم مبادئ الإسلام ، أتى دور عمرو بن حزم ليكون أكثر عمقا وتفصيلا لأحكام الشريعة الإسلامية ، وهو مايعرف بالفقه فى الدين ، الأمر الذى نصت عليه كثير من عبارات الكتاب ، هذا إلى جانب دوره فى تعليم الناس القرآن الكريم ، وتبصيرهم بآدابه ، وهذا يوضح ماقصدنا إطلاقه عليه من أنه كان معلما وفقيها .

٤- أن أساليب التربية التى حددها رسول الله ﴿ﷺ﴾ لعمرو بن حزم فى كتابه تتراوح بين الترغيب والترهيب ، اللين والشدة ، القدوة الصالحة ، فالترغيب يكون بتبشير الناس فى الخير والجنة وماتتطلبه من العمل الصالح ، والترهيب يكون بإنذارهم وتنفيرهم من الشر ومن النار ، ومايؤدى إليها من قول وعمل ، واللين يكون فى الحق ، والشدة

تكون فى الظلم ، أما القدوة الصالحة فتتأتى عندما يكون الداعية أو المربى ملتزما بتقوى الله حتى يكون صورة عملية حية لما يدعو إليه ويعلمه للناس ، وبهذه الأساليب يستطيع المربى والداعية أن يستألف الناس ويفقههم فى دين الله .

٥- أما المحتوى التعليمى الذى يتضمنه الكتاب فيدور حول بيان بعض الأمور التشريعية والفقهية كبيان معالم الحج وفرائضه وسننه ، والفرق بينه وبين العمرة ، وبيان شعيرة الصلاة ، وماتتطلبه من الركوع والسجود والخشوع ، وتحديد مواقيت الصلوات الخمس ، وفرضية صلاة الجمعة ، وسنة الاغتسال لها ، وبيان خمس الله فى الغنائم ، وتحديد مقادير الزكاة فى الزروع والثمار والإبل والبقر والغنم .. بحيث تسرى هذه الأحكام على المسلمين ومن هداهم الله للإسلام من أهل الكتاب عن رغبة واقتناع بدون قسر أو إجبار ، أما من بقى على دينه منهم فيعامل معاملة أهل الذمة فى كفالة حقوقه الدينية والأمنية مقابل دفع الجزية ، هذا إلى جانب ما أكد عليه الكتاب من إقرار حق المساواة فى المجتمع المسلم وعدم الدعوة إلى العصبية أو القبلية التى تعد جاهلية مقيته قضى عليها الإسلام .

٦- إن عمرو بن حزم رضى الله عنه مكث معلما وفقيها بنجران منذ بعثه فى نهاية السنة العاشرة من الهجرة النبوية إلى مابعد وفاة رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، حيث يروى الطبرى فى تاريخه عن الواقدى أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ توفى وعمرو بن حزم على نجران [١].

٧- أخيرا تجدر الإشارة إلى بيان مانص عليه الكتاب من أن بعث عمرو بن حزم كان إلى اليمن مع أن بعثه كان إلى نجران ، الأمر الذى يعزز ما أشرنا إليه فى بداية هذا المبحث من أن نجران كانت مدينة يمنية شبه مستقلة .

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

الخاتمـــة

فى ختام هذا البحث يبدو للباحث بعض النتائج التى تتصل ببعوث المغلمين من الصحابة فى عهده صلوات الله وسلامه عليه ، والتى يمكن إجمالها فيما يلى :

١- كانت بعوث المعلمين أحد المنافذ الهامة لنشر الدعوة وتعليم المسلمين فى العهد النبوي، بل إنها كانت فتحا جديدا أمكن من خلاله مواجهة المستجدات التى واكبت انتشار الإسلام فيما يتعلق بحاجة البلدان المفتوحة إلى معلمين يشرحون تعاليم الإسلام ومبادئه ويعلمون المسلمين الجدد كتاب الله وسنة نبيه ﴿ﷺ﴾ ويفقهونهم فى دين الله ويقضون بينهم وفق شريعة الله .

٢- تركزت بعوث المعلمين فى العهد النبوى على جهتين هامتين من الجزيرة العربية وهما يثرب واليمن ، وذلك تمشيا مع مقتضيات نشر الدعوة وتعليم المسلمين ، ففى المرحلة المكية للدعوة تركزت البعوث على يثرب لأنها البلد الوحيد الذى قبل دعوة رسول الله ﴿ﷺ﴾ بعد أن رفضت مكة وبعدها الطائف قبول الدعوة ووقفتا منها موقف السخرية والاستهزاء والحرب ، ومن ثم كانت عناية الرسول ﴿ﷺ﴾ بتهيئة يثرب لتكون الحصن الآمن للإسلام ، وقاعدة انتشاره ، ومقر دولته ، وموطن إقامة الرسول ﴿ﷺ﴾ وأصحابه، فكان إرسال مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إليها للدعوة والتعليم فيما بين بيعة العقبة الأولى والثانية ، وحقق بعثهما ماهدف إليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ سواء فى مجال الدعوة بإسلام معظم أهل يثرب أو فى مجال التعليم وتفقيه مسلمى الأنصار فى دين الله وشريعته .

أما فى المرحلة المدنية للدعوة فقد تركزت بعوث المعلمين على اليمن ، لأنها كانت أول البلدان العربية التى قدمت وفودها على رسول الله ﴿ﷺ﴾ معلنة إسلامها ، ونظرا لتعدد بلدان اليمن وقبائلها وقراها فقد توالت بعوث المعلمين من الصحابة إليها منذ العام الثامن أو التاسع للهجرة وحتى انتقاله صلوات الله وسلامة عليه إلى الرفيق

الأعلى فكان إرسال معاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى وخالد بن الوليد وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم إلى بعض القبائل والقرى اليمنية ، وإرسال أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وعمرو بن حزم رضى الله عنهم إلى قبائل وقرى نجران .

٣- كان إختيار المبعوثين من أصحابه صلوات الله وسلامه عليه يتم على أساس توافر مقومات الداعية والمعلم فى شخصية المبعوث من سبق فى الإسلام وحفظ للقرآن ودراية بالسنة والأحكام ، هذا إلى جانب مهارة وخبرة المبعوث فى مجال الدعوة والتعليم ، وذلك لأن حاجة البلدان التى كان يرسل إليها المبعوثون كانت تتطلب توافر مقومات متعددة فى شخصية المبعوث ، فهو مقرئ للقرآن ، ومعلم لسنة خير الأنام ، وقاضى ومفتى وفق ماشرعه الإسلام من فقه وأحكام ، وداعية إلى الإسلام بين اليهود والنصارى أو عبدة الأوثان .

٤- كانت الكتب والوصايا والنصائح التى يزود بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ المبعوثين بمثابة المنهج التربوى الذى يحكم عمل المبعوثين من الدعاة والمعلمين ، سواء فيما يتعلق بمحتوى العملية التعليمية أو طرقها وأساليبها أو حتى فيما يتعلق بسلوك الداعية والمعلم نفسه .

٥- فى ضوء منهج المبعوثين من الصحابة للدعوة والتعليم فى العهد النبوى يمكن استخلاص المعالم الأساسية لمنهج الدعوة والتعليم فى الإسلام ، وذلك فيما يلى :

أ - اتباع أسلوب القرآن الكريم الذى يقوم على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن .

ب - الاقتداء العملى بإمام الدعاة والمعلمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فى صبره وخلقه ولينه ورحمته ، ورفقه وشفقته .

جـ - اتباع أسلوب التيسير الذى يحقق إقبال الناس على الداعية والمعلم بما يحقق الهدف المنشود ويؤدى إلى النتيجة المحمودة ، وليس أسلوب الشدة والغلظة الذى ليس له نتيجة إلا التنفير وسآمة المتعلمين .

د - التدرج فى عرض رسالة الإسلام ومعالمها الأساسية بداية من العقيدة ومرورا بالعبادات كالصلاة والزكاة .. إلى المعاملات والأخلاق .

هـ - أن يكون الداعية والمعلم ذاته نموذجا حيا لأخلاق الإسلام ومثالا عمليا لما يعلمه ويدعو إليه حتى يعلم بسلوكه كما يعلم بدروسه .

و - مهارة وبراعة الداعية والمعلم فى عرض رسالة الإسلام من خلال آيات القرآن وسنة خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، وإلمامه بطرق التأثير فى المتعلمين وكيفية إقناعهم بالحجج والبراهين القائمة على العقل والمنطق إلى جانب الأدلة النقلية من القرآن والسنة النبوية .

٦- أثبتت الجهود التى قام بها بعض الصحابة فى مجال نشر الإسلام وتعليم المسلمين ، ممن عرف عنهم البروز فى ميدان الفتوح وقيادة الجيوش المجاهدة كأبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وعلى بن أبى طالب أن الصحابة رضوان الله عليهم بحكم إعدادهم على يد المعلم الأعظم صلوات الله وسلامه عليه كانوا مربين ومعلمين قبل أن يكونوا قادة ومجاهدين ، وأن الإسلام لم ينتشر عن طريق الجهاد المسلح ، وإنما بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبذل أقصى الجهد فى مجال العلم والتعليم .

٧- أصبحت بعوث المعلمين نهجا إسلاميا صار عليه الخلفاء المسلمون بعد العصر النبوى ، ومن ثم تبدو الحاجة ماسة إلى استكمال دراسة بعوث المعلمين فى عهد الخلفاء الراشدين وماقاموا به من أدوار فى نشر الإسلام وتعليم المسلمين ، خاصة وأن بعض المبعوثين الذين قاموا بهذا الدور فى العهد النبوى هم الذين استعان بهم الخلفاء الراشدون فى القيام بنفس الدور فى عهد الخلافة الراشدة .

مراجع البحث

- القرآن الكريم :

١- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٢ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥ .

٢- ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ٤،٦ ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، (د.ت) .

٣- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٥ ، القاهرة ، دار التحرير ، ١٩٦٨ .

٤- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد) : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، جـ٣ ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، (د.ت) .

٥- ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٥ ، بيروت ، مكتبة المعارف ، (د.ت)

٦- .... : تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ، القاهرة ، مكتبة دار التراث ، ١٩٨٠

٧- ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ١ ، ٢، ٣، ٤ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، بيروت ، دار القلم ، (د.ت) .

٨- أبو تراب الظاهرى : وفود الإسلام ، الرياض ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٩٨٤

٩- أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، جـ١ ، ٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ط٣ ، ١٩٨٠ .

١٠- أحمد الشرباصى : الداعية الشهيد مصعب بن عمير ، موسوعة الفداء فى الإسلام ، جـ١ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٣ .

١١- .... : الشهيد المكفوف عمرو ابن أم مكتوم ، موسوعة الفداء فى الإسلام ، جـ١ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٢.

١٢- الإمام أحمد : المسند ، جـ٥ ، بيروت ، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٩٧٨ .

١٣- الإمام البخارى : صحيح البخارى ، جـ٤، ٥ ، ٦ ، الرياض ، دار أشبيليا ، (د.ت)

١٤- الإمام البيهقى : السنن الكبرى ، جـ١٠ ،بيروت ، دار الفكر ، (د.ت) .

١٥- الإمام مسلم : الجامع الصحيح ، جـ٦ ،٧، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، (د.ت)

١٦- جابر عبد الحميد جابر وأحمد خيرى كاظم : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٦ .

١٧- حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى ، جـ١ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٦ ، ١٩٦٤ .

١٨- خير الدين الزركلى : الأعلام ، جـ٤،٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٥ ، ١٩٨٠

١٩- الذهبى (شمس الدين) : تذكرة الحفاظ ، جـ١ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٣٧٤هـ .

٢٠- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢،٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار التراث ، (د.ت) .

٢١- عبد البديع عبد العزيز الخولى : «الدولة الإسلامية والتعليم فى القرن الأول الهجري» ، مجلة التربية ، العدد الثالث ، كلية التربية ، جامعة الأزهر، ١٩٨٤ .

٢٢- .... : « العلم فى الإسلام» ، مجلة التربية ، العدد الثالث والعشرون ، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٢ .

٢٣- عبد الحميد محمود طهماز : أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم المجاهد ، دمشق ، دار القلم ، ١٩٩١ .

٢٤- .... : معاذ بن جبل إمام العلماء ومعلم الناس الخير ، بيروت ، دار القلم ، ط٢ ، ١٩٨٨ .

٢٥- عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، جـ١ ، بيروت، دار الكتاب العربى ، (د.ت) .

٢٦- عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد فى الإسلام ، جـ١ ، القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط٦ ، ١٩٨٣ .

٢٧- المتقى الهندى (علاء الدين على بن حسام): كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق بكرى حيانى وصفوة السقا ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٩.

٢٨- محمد حسن بريغش : مصعب بن عمير الداعية المجاهد ، دمشق ، دار القلم ، ط٥ ، ١٩٩٠.

٢٩- محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ، جـ١ ، ٢ ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٦٩

٣٠- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٥ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧ .